العيون

وحي الهام وابداع

دكتور/ منتصر نابلسي

العيون

وحي الهام وابداع

دكتور/ منتصر نابلسي

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله سبحانه وتعالى:

{ وَإِذَا سَمِـعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}

(المائدة : 83).

{وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون}

الذاريات:20-21).

{أَفَلَمْ يَنظُرُوَاْ إِلَى السماء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيّنّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ } (ق: 6).

{والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون}

(النحل: 78).

صدق الله العظيم

الإهداء

أهدي هذا البحث لكل من يحب العلم ويتمنى أن يخوض بحاره ، محاولا استخراج اللؤلؤ الثمين وفهم الأسرار التي تظل كنوزها تنتظر من يبحث عن مكنونها، وأهديه لكل من يريد أن يسبر أغوار المعرفة متعلما بحثا عن الاستزادة .

وأهديه لمن يظل تعبير تقديري لهم أقصر قامة من أن يوفيهم الشكر والعرفان بعض من حقوقهم، أولاً أهديه للوالدين أطال الله عمريهما وأدعوه جل جلاله وتبارك اسمه، وابتهل إليه أن يحفهما بالصحة والعافية والرضا. كما اهديه لأساتذتي الإجلاء فى جامعة السودان وعلى رأسهم الأستاذ الفاضل د محمد على أحمد وفقهم الله وسدد

خطاهم والتحية لكل من ساندني بصدق، ووقف بجانبي ، كما أهديه لكل شبر من ربوع هذا الوطن الغالي حفظه الله.

مقدمة

الحمد لله ذي الحول والقوة، من تفضل على البشر بنعمة العقل، وفضل الإنسان على كثير من خلقه ،وجعله المتفرد بالفكر من خلال الفهم والإدراك، لما حوله وجعل من نعمة العين وسيلة يتمكن من خلالها الاستمتاع بنعمة الإبصار وتفهم معنى الحياة...

العيون نافذة الحياة ، هي عطاء الله العظيم من خلالها يلتمس إبداعه المتفرد وصنعته المتقنة ، وتقديره الدقيق ، وفضله المطلق، إذا تفكرت في العيون وجدتها بوابة الإحساس ومنفذ التميز،ومعقل التفاعل، يقول الله سبحانه وتعالى (وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون) الذاريات.

العيون عند الشعراء دنيا أخرى، لا حدود لها، أنها مصدر الإلهام ومهوى القلوب ومنبع المعاني ، وقلب الشاعرية النابض، هي منبع المشاعر الدفاقة وهى المستفزة والمستفزّة أيضا هي ميزان ومعيار معاني الجمال وبوابة مشرعة على كون مشبع بالإبداع من الخالق العظيم العيون واسعة شاسعة ،وساخرة ساحرة،وكاشفة واجفة فاحصة عابثة، ناعمة وناعسة، وأحياناً قاتلة فاتكة ..إلخ . العين مرتعا خصبا للخيال الشعري ، ولقد وجدت أن العين كانت ومازالت مصدر للإلهام ، تتغير العصور المختلفة، ولكن تظل العين بما تحتويه من جمال وما يدور فيها وحولها من أسرار محور دفعني إلى محاولة البحث فى زواياها المختلفة ، لاكتشاف عالما واسع الأرجاء ، يمتد بكل روائع الإبداع فى كل عصر من العصور ، ولا يملك الشعراء إلا الإذعان أمام هيبة هذا المخلوق الواضح الرائع الرقيق والساحر الغامض العميق .

يقول الشاعر جرير[1]:

إنّ العُيـونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ قَتَلْنَنَا ثُمّ لَمْ يُحيينَ قتلانا

[1] ـ جرير بن عطية بن حذيفة الخَطَفي بن بدر الكلبيّ اليربوعي، من تميم(28 - 110 هـ): أشعر أهل عصره. ولد ومات في اليمامة. وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم - وكان هجاءاً مرّا - فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل. وكان عفيفا، وهو من أغزل الناس شعرا. وقد جمعت (نقائضه مع الفرزدق) في ثلاثة أجزاء، و (ديوان شعره). وأخباره مع الشعراء وغيرهم كثيرة جدا. وكان يكنى بأبي حَزْرَة. ينظر ترجمته: وفيات الأعيان 1/ 102 ، وشرح شواهد المغني 16 ، والشعر والشعراء 179.

يصرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَرَاكَ بِهِ وهُنّ أضْعَفُ خَلقِ اللهِ إنسانا[2]

وهى ولاشك منحة الرحمن ذي الفضل والكرم وهى النعمة التي لا يستطيع أحد إن يوفيها شكرًا.

إن السطوة التي تتميز بها العيون دفعتني إلى محاولة سبر أسرارها وفهم بعض من جواهر تأثيرها وتأثرها وتحليل مكنون روعتها والبحث العميق عن علاقتها الوطيـدة بالأدب في مختلف العصور وتأثيرها المباشر وغير المباشر على الأدب وإبداع الشعراء خاصة....

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقني في كتابة بحث توثيقي مكتمل الأركان، عن العيون وإبداع بعض الشعراء العرب،عبر كل الحقب الزمنية، ابتداءً بالعصر الجاهلي، و سأبين لماذا لعبت العين، من بين كل أعضاء جسم الإنسان، ذلك الدور المتميز، والأكثر فاعلية في الحركة الأدبية، وأنني لأطمح أن يتضمن البحث هذا صور متعددة متباينة، من الإبداعات الشعرية، متضمنة التحليل النقدي الملائم، مع دراسة مستوفية تبرز كل الصور والمعايير الجمالية ، التي يدور محورها، حول فلك العيون من إبداع .

الفصل الاول

العين في اللغة العربية

العَيْنُ: عضو الإبصار للإنسان وغيره من الحيوان[3].

و العَيْنُ: يَنْبُوعُ الماء ينبُعُ من الأرض ويجري. والجمع : أَعْيُنٌ ، وعُيُونٌ[4]، وفي التنزيل العزيز: { فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ}(الرحمن:50).

---

[2] -

[3] - معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008م، 2/ 1513، والمعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، 2/ 641.

و العَيْنُ أَهل البَلَد[5].

و العَيْنُ أهل الدَّار[6].

و العَيْنُ الجاسُوس[7].

و العَيْنُ رئيس الجيش[8].

و العَيْنُ طَليعةُ الجيش[9].

والعَيْنُ كبيرُ القوم وشريفهم[10].

و العَيْنُ ذاتُ الشيءِ ونفسُه[11].

يقال: هُوَ َ عَيْنًا ، أو بِعَيْنِهِ[12].

وجاءَ محمَّد عَيْنُهُ[13].

و العَيْنُ ما ضُرِبَ نَقْدًا من الدَّنانير[14].

و العَيْنُ الحاضِرُ من كلِّ شيء[15].

يقال: بِعْتُهُ عَيْنًا بِعَيْن: حاضِرًا بحاضر[16].

يقال : هذه القصيدةُ من عيون الشِّعر[17].

---

[4] ـ لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت: 711هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، 13: 303، وتاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، 35/ 449.

[5] ـ التاج ، 35/ 442.

[6] ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت،الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987م، 6/ 2162، واللسان ، 13/ 306.

[7] ـ اللسان ، 6/ 38، والتاج، 35/ 443.

[8] ـ التاج، 35/ 461.

[9] ـ تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، 3/ 130، واللسان ،1/ 82.

[10] ـ التاج، 35/ 448، و القاموس الفقهي لغة واصطلاحا: الدكتور سعدي أبو حبيب، دار الفكر. دمشق – سورية، الطبعة: الثانية 1408 هـ/ 1988 م، 269.

[11] ـ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت ، تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، 3/ 130 والتاج ، 35/ 446.

[12] ـ الصحاح،2170/6، واللسان ،305/13.

[13] ـ الصحاح،2170/6، واللسان ،305/13، والتاج ، 35/ 446.

[14] ـ المعجم الوسيط،2/ 641.

[15] ـ التاج، 35/ 444، ومعجم اللغة العربية المعاصرة،2/ 1585.

[16] ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، 2/ 440، والتاج ، 40: 253.

و العَيْنُ واحِدُ الأعيانِ للإخْوَة الأشِقَّاء

قرة عين :

مصدر قَرَّ

القُرَّةُ : ما قَرَّتْ به العَيْنُ

يقول ابن الوردي[18]:

يا مَنْ همْ للعينِ قرَّهْ ولبيتِهِمْ قدرٌ وقدرهْ

مُنُّوا علينا واحضروا فحضورُكم أصلُ المسرَّهْ[19]

وفي حديث الاستسقاء: (لو رآك لقرت عيناه) أي لسر بذلك وفرح وحقيقته أبرد الله دمعة عينيه لأن دمعة الفرح والسرور باردة، وقيل معنى أقر الله عينك بلغك أمنيتك حتى ترضى نفسك وتسكن عينك فلا تستشرف إلى غيره. يقول تعالى(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا.) الفرقان(74)

ورد في تفسير القرطبي لـهذه الآية

أن الإنسان إذا بوركَ لهُ في ماله وولده قرَّت عينه بأهله , وعياله.. حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها أمانيه من جمال و عفَّة , و نَظَر , و حوطة .... أو كانت عنده ذُرية مُحافظون على الطاعة , معاونون له على وظائف الدين والدُنيا و لم يلتفت إلى زوج أحد ولا إلى ولده فتسكن عينه عن المُلاحظَة , ولا تمتد عينه إلى ماترى , فذلك حين قُرَّت العين , و سكون النفس

وفي تفسير البغوي ج3/ص379

قال القرطبي ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل. وقاله الحسن ووحد القرة لأنها مصدر وأصلها من القر لأن العرب تتأذى من الحر وتستروح إلى

---

[17] ـ المعجم الوسيط،2/ 641.

[18] ـ عمر بن مظفَّر بن عمر ب محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعرّي الكندي(691 - 749 هـ): شاعر، أديب، مؤرخ. ولد في معرة النعمان (بسورية)، وتوفي بحلب. من كتبه " ديوان شعر " ، و " تتمة " ، يعرف بتاريخ ابن الوردي، و " تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة ".ينظر ترجمته: فوات الوفيات 2/ 116 وبغية الوعاة 365 .

[19] ـ

البرد.
وتذكر قرة العين عند السرور وسخنة العين عند الحزن ، ويقال دمع العين عند السرور بارد وعند الحزن حار.

وقال الأزهري معنى قرة الأعين أن يصادف قلبه من يرضاهُ فَتَقَرُّ عينه به عن النظر إلى غيره . أسألُ الله أن يرزقني وإياكم قُرَّة الأعين

قُرَّة العَيْن : ما يصادف المرء به سرورًا فلا تطمح العين إلى ما سواه هو قرَّة عين أمّه : سرورها وسكونها ،

وفلانٌ في قُرَّةٍ من العيش : في رغَدٍ وطِيب

القُرَّةُ : القُرارَة

قُرَّةُ العَيْنِ : بقلة مائية معمَّرة من الفصيلة الخيمية تنبت في الجداول والمناقع ، وقد تزرع وورقها يؤكل أَخضرَ أَو مطبوخًا كالإسفاناخ ، وتسمى أَيضًا كرفس الماء ، وجرجير الماء نبات مائيّ ينبت في الجداول والمناقع وقد يُزرع ، ورقه يؤكل أخضر أو مطبوخًا ، ويسمَّى أيضًا كرفس الماء وجرجير الماء

قِرّة: (اسم)

القِرَّةُ : البردُ

القِرَّةُ : ما يصيب الإنسانَ وغيره من البَرْد

ليلَةٌ قِرَّةٌ : باردَةٌ

قِرة: (اسم)

القِرَةُ : الثَّقَلُ

القِرَةُ : وَقْتُ المرض

القِرَةُ : الشَّيْخُ الكبير

القِرَةُ : العيالُ القِرَةُ : المالُ

القِرَةُ : الشَّاءُ

القِرَةُ : قطيعٌ من صِغار الغنم معها راعيها وكلبُها وحِمارُها

قَرّ: (اسم)

قَرّ : فاعل من قَرَّ

قَرَّ: (فعل)

قَرَّ قَرِرْتُ ، يقَرّ ويقِرّ ، اقْرَرْ / قَرَّ واقْرِرْ / قِرَّ ، قُرَّةً وقُرورًا وقَرَّةً ، فهو قارّ وقرير قرَّت عينُه : بَرد دمعُها ، ضدّ سخُنت ، ويُكنَّى به عن السرور والابتهاج ، وقيل لأنَّه للسّرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارّة : وطيبي نفسًا

قَرَّ الرَّجُلُ عَيْناً : رَأَى مَا كَانَ مُتَشَوِّقاً إِلَيْهِ فَسُرَّ

قَرَّ عَيْنُه : سُرَّ ورضي ، فهو قرير العين

قَرَّ اليومُ قَرًّا : برد

وهناك أسماء أخرى تطلق على العين مثل - المقلة - الطرف ..الخ والعين وظيفتها البصر أو النظر[20]، كما أن وظيفة الأُذن السمع[21].

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الإنسان (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا).

معني الطرف: الطرف – طرف :

وشادن لما شدا اسلمنى إلى الردى
بـِطَرْفِهِ وَظُرْفِهِ وَلـُطْفـِهِ لـَمَّـا بَـدا[22]

الطَّرْفُ تحريكُ الجَفْن[23]، والطَّرْفُ العَيْنُ ويطلق على الواحد وغيره، وقد يُثَنَّى ويجمعُ[24]. في التنزيل العزيز في صفة حُور الجنَّة[25]:{قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ}(الصافات: 48)، و الطَّرْفُ

[20] ـ المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ)، تحقيق: خليل أبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ 1996م، 1/ 96، واللسان ، 13/ 301.
[21] ـ كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 1/ 348، و اللسان ، 8/ 162.

النَّظَرُ[26]، وفي قِصَّةِ سليمان من التنزيل العزيز:{قَالَ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ}(النمل آية 40).

طَرَفَ البصرُ طَرَفَ طَرْفًا: تحرَّك جَفْنَاهُ[27]، قالوا: ما بقيَتْ منهم عيْنٌ تَطْرِفُ: بادوا[28]، وقالوا: شَخَصَ بَصَرُهُ فما يَطْرِف[29].

وطَرَفَ إليه: نَظَرَ[30]، وطَرَفَ عينيْهِ، وبهما: حرَّك جَفْنَيْهِ[31]، وطَرَفَ الشيءَ:نظَرَه[32]. وطَرَفَ عيْنَهُ: أَصابَها[33].

يقال: طَرَفَ عينَهُ الحُزْنُ[34]. وطرفَ عيْنَه المالُ: أَعماهُ عن الحقِّ[35]، وطَرَفَ فلانًا عن الشيءِ: صَرَفَه عَنْه[36].

1- مُقْلَة : المُقْلَة: العَيْنُ كلُّها[37]. والجمع: مُقَلٌ ومُقُلات ومُقْلات ومُقَل[38].

قال ابن المعتز[39]:

وما أدري إذا ما جن ليلي أشوقا في فؤادي أم حريقا

ألا يا مُقَلَتّي دَهَيتمــاني بلحظكما فذوقا ثم ذوقا[40]

---

[23] ـ التاج ، 70/24، والمعجم الوسيط، 2/ 555.

[24] ـ المعجم الوسيط، 2/ 555.

[25] ـ معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري الزجاج (ت: 311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988م، 4/ 304، و تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م، 7/ 14.

[26] ـ تهذيب اللغة،10/ 352، والتاج ، 24/ 70.

[27] ـ المعجم الوسيط، 2/ 555.

[28] ـ الأمثال: زيد بن عبد الله أبو الخير الهاشمي (ت: بعد 400هـ)، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة: الأولى، 1423 هـ، 252، والقاموس، 831.

[29] ـ العين ، 7/ 413، و شرح ديوان الحماسة: أبو على أحمد بن محمد الأصفهاني (المتوفى: 421 هـ)،تحقيق، غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م، و749.

[30] ـ تهذيب اللغة، 8/ 34، واللسان، 10/ 285.

[31] ـ معجم اللغة العربية المعاصرة،2/ 1295، والمعجم الوسيط، 2/ 555.

[32] ـ تهذيب اللغة،10/ 352، والتاج ، 24/ 70.

[33] ـ التاج ، 24/ 70، والمعجم الوسيط، 2/ 555.

[34] ـ المعجم الوسيط، 2/ 555.

[35] ـ المعجم الوسيط، 2/ 555.

[36] ـ معجم اللغة العربية المعاصرة ، 2/ 1395، و المعجم الوسيط، 2/ 555.

[37] ـ تهذيب اللغة ، 9/ 150، ولسان العرب، 11/ 637.

[38] ـ معجم اللغة المعاصرة ،3/ 2113.

[39] ـ ابن المُعْتَزّ، عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس(247 - 296 هـ): الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة. ولد في بغداد، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم.وصنف كتباً، منها " الزهر والرياض " و " البديع " و " الآداب " وغيرها. وله " ديوان شعر " في جزأين. ينظر ترجمته: الأغاني طبعة دار الكتب 10/ 374 ، 95 وفوات الوفيات 1/ 241.

2- والمَقْلَةُ : أَسفلُ البئر[41].

3- والمَقْلَةُ حَصاةُ القَسْم توضَعُ في الإناءِ إذا عَدِموا الماءَ في السَّفر ، يُصَبُّ فيه الماءُ قدرَ ما يغمر الحصاةَ فيُعطاها كلُّ رجل منهم[42].

4- مقلة : أ - شحمة العين[43]. ب - سواد العين وبياضها[44]. ت - المرة من مقل[45].

5 - مُقْلَةُ العَيْنِ: شَحْمَةُ العَيْنِ الَّتِي تَجْمَعُ السَّوَادَ والبَيَاضَ[46]. فِي مُقْلَتِهِ احْمِرَارٌ.

7- العَيْن كُلُّها، وهما مُقلتان " مُقْلَةٌ دَمْعُها حثيثٌ وأخرى ... كُلَّما جَفَّ دَمْعُها أَسْعَدَتْها[47].

معنى البصر :

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الإنسان:{إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}(الإنسان:2).

بَصَّرَ: بَصَّرَ: أَتَى البَصرةَ[48].

ويقول الإمام الشافعي[49]:

يا كاحل العين بعد النوم بالسهر ما كان كحلك بالمنعوت للبصر

سقيا لدهر مضى ما كان أطيبه جاءت وفاتي ولم أشبع من النظر

لو أن عيني إليك الدهر ناظرة لولا التفرق والتنغيص بالسفر[50]

---

[40] - نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد شهاب الدين النويري (ت: 733هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة: الأولى، 1423 هـ، 2/ 133، و ذم الهوى: جمال الدين أبو الفرج الجوزي (ت: 597هـ)،تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة: محمد الغزالي، 97.

[41] - التاج ، 30/ 430، والمعجم ، 880/2.

[42] - اللسان، 11/ 627، و المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب، العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000م، 442/6.

[43] - اللسان ، 11/ 627، والقاموس ،1058.

[44] - الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد بن القاسم الأنباري (ت: 328هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت،الطبعة: الأولى، 1412 هـ -1992م، 141/2، و تهذيب اللغة ، 9/ 150.

[45] - إكمال الأعلام بتثليث الكلام: محمد بن عبد الله، ، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: 672هـ)، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة - المملكة السعودية، الطبعة: الأولى، 1404هـ 1984م، 2/ 664.

[46] - اللسان، 11/ 627، والقاموس،1058.

[47] - معجم اللغة العربية المعاصرة، 3/ 2113.

[48] - تهذيب اللغة، 12/ 125، القاموس ،251.

[49] - الإمَام الشَّافِعي،محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله(150 - 204 هـ): أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة.وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة (بفلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين. وقصد مصر سنة 199 فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة.. له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب (الأم) في الفقه ، و(المسند) في الحديث، و (أحكام القرآن) وغيرها.ينظر ترجمته: تذكرة الحفاظ، 1/ 329 ، وتهذيب التهذيب، 9/ 25، والوفيات 1: 447.

و بَصَّرَ الجَرْوُ ونحوُه: فتَّح عينيه أولَ ما يرى[51].

و بَصَّرَ الشيءَ: عرّفه ووضَّحه[52].

وبَصَّرَ فلانًا الأَمرَ وبه، تبصيرًا، وتبصرة: علَّمه إياه، ووضَّحه له[53].

بَصُرَ: بَصُرَ ُ بَصَرًا، وبَصَارَةً :صار بَصِيرًا[54]. وبصر - يبصر ، بصراً ، وبصارة[55].

و بَصُرَ صار ذا بَصِيرةٍ[56]. فهو بَصِيرٌ[57].

وبَصُرَ بالشيءِ: عَلِم به[58].

و بَصُرَ به بَصَرًا : أَبْصَرَه[59].

بصر - يبصر بصراً وبصارة[60]: أ- و بَصُرَ نَظَرَ إليه هَلْ يُبْصِرُه[61]. ب- بصر به : رآه[62] . ت- بَصِرَ: بَصِرَ َ بَصَرًا: صَار مُبْصِرًا [63]. ث- بصر : صار ذا بصيرة[64].ج - وبَصِرَ به: أبصره و بَصِرَ عَلِمه[65].

البِصْر - بِصْر: البِصْر: الحجر الأبيض الرِّخْو[66].

البُصْر ُ: الأرض الطيبة الحمراء[67]، والبُصْر القِشْر[68].

والبُصْر من كل شيء : سَمْكُه وارتفاعه[69]، والبُصْر جانبُه وحرفه[70].

---

[51] ـ المعجم الوسيط،1/ 59.
[52] ـ المرجع السابق،1/ 59.
[53] ـ المرجع السابق، 1/ 59.
[54] ـ المخصص، 108، والمعجم الوسيط، 1/ 59.
[55] ـ اللسان ،64/4، والقاموس، 251.
[56] ـ اللسان ، 4/ 66، والتاج ، 10/ 199.
[57] ـ المخصص، 4/ 205، ومختار الصحاح، 35.
[58] ـ الصحاح،2/ 591، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت: 573هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م، 544.
[59] ـ الصحاح ، 1/ 402، واللسان ، 4/ 64.
[60] ـ الصحاح ، 1/ 402، اللسان ، 4/ 64.
[61] ـ اللسان ، 4/ 64، والقاموس، 251.
[62] ـ مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م، 35.
[63] ـ اللسان ، 4/ 64، والقاموس، 251.
[64] ـ اللسان ، 4/ 66، والتاج ، 10/ 199.
[65] اللسان ، 4/ 66، والقاموس،531.
[66] ـ اللسان ، 4/ 67، والتاج ، 10/ 206.
[67] ـ اللسان ، 4/ 67، والتاج ، 10/ 203.
[68] ـ التاج ، 10/ 206.

وثوبٌ جيدُ البُصْرِ: قويّ[71].

البَصْر : البَصْر الطين العَلِك الجيّد فيه حَصًى[72].

البَصَرُ : العين[73]، وحاسة النظر[74]، والبَصَرُ قوّة الإبصار[75]، والجمع: أبصار[76]. ولقبته بَصَرًا : حينَ يُستطاع الإبْصار عند اختلاط النُّور بالظُّلمة[77].

ومنه : صَلاة البصَرِ: صَلاة المغرب أو الفجر[78].

ويقال: فعلتُه بين سمع الناس وبَصَرهم: جِهارًا[79].

وبين سمع الأَرض وبَصَرها: بأَرضٍ خَلاءٍ لا يبصرني ولا يسمعني سواها[80].

بصر: قشر[81].

بصر : بصر الشيء بالسيف: قطعه به[82]. ب - جلد[83].

معنى النظر :- النَّظْرُ: المِثْلُ[84].

النَّظَرُ: البَصَرُ والنَّظَرُ البصيرةُ[85].

يقول الله سبحانه (قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)(العنكبوت: 20)، ويقال: في هذا نَظَرٌ: مجَالٌ للتفكير لعدم وضوحه[86].

---

[69] ـ اللسان ، 4/ 67، والتاج ، 10/ 210.
[70] ـ اللسان ، 4/ 67، والقاموس،251.
[71] ـ اللسان ، 4/ 67، والتاج ، 10/ 210.
[72] ـ اللسان ، 4/ 67، والتاج ، 10/ 210.
[73] ـ العين ، 7/ 117، وتهذيب اللغة،12/ 133.
[74]ـ معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م، 108.
[75] ـ معجم اللغة العربية ،1/ 212، و المعجم الوسيط،1/ 59.
[76] ـ اللسان ، 4/ 67، والقاموس،251.
[77] ـ اللسان ، 4/ 67، والمعجم الوسيط،1/ 59.
[78] ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير (ت: 606هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، 1/ 131، واللسان ، 241/3.
[79] ـ معجم اللغة العربية ،1/ 212، و المعجم الوسيط،1/ 59.
[80] ـ جمهرة الأمثال: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت: نحو 395هـ)، دار الفكر – بيروت، 1/ 224، ومجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني (ت: 518هـ)،تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد،دار المعرفة - بيروت، لبنان، 2/ 183.
[81] ـ التاج ، 10/ 206.
[82] ـ النهاية في غريب الحديث والأثر،1/ 131، و اللسان ، 4/ 67.
[83] ـ النهاية في غريب الحديث والأثر،1/ 132، و اللسان ، 4/ 67.
[84] ـ النهاية في غريب الحديث والأثر،5/ 78، اللسان ، 5/ 219.
[85] ـ تاج العروس ، 14/ 245، والمعجم الوسيط،2/ 932.

ونظراً إلى كذا، وبالنَّظرِ إليه: ملاحظةً واعتباراً له[87].

النظر : تأمل الشيء بالعين[88].

ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري[89]. ودليل الخطاب: أن يكون المسكوت عنه مخالفاً للمنطوق في الحكم ، مفهوم المخالفة[90].

استرق النّظر أو السّمع:

نظَر أو استمع خفية أو مستخفيًا[91]، قال تعالى : { إلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ } (الحجر:18).

اختلس النّظر إليه: نظر إليه بصورة خفيَّة[92].

أمعن النّظر في الأمر ، أمعن في الأمر: جدَّ وبالغ في استقصائه، وأطال التفكيرَ فيه[93]، أمعن في السَّيْر / الطلب - أمعن النظرَ في المشروع قبل بدء العمل به- إنّه يُمعِن في الكذب[94].

ألفت النّظر إلى شيء:نبَّه إليه ليُهْتَمَّ به "من الملفت للنّظر أنّه زار إسرائيل في هذه الظروف - زِيّ مُلفِت للنّظر"[95].

أرشق النّظر إليه : نظر بحدَّة[96].

أجال النّظر / أجال بالنّظر: جعله يجول، أداره هنا وهناك[97].

تخالس الحبيبان النّظر: نظر كلٌّ منهما إلى الآخر خلسة.

توافقت وجهات النّظر: تآلفت، انسجمت" توافقت الألوان - توافق الحيوان مع بيئته ".توجّب إعادة النّظر : مُطاوع أوجبَ[98].

---

[86] - المعجم الوسيط، 2/ 932.
[87] - المعجم الوسيط، 2/ 932.
[88] - مختار الصحاح، 213، واللسان، 315/5.
[89] - العدة في أصول الفقه: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين ابن الفراء (ت : 458هـ)، حققه وعلق عليه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، د.ن، الطبعة: الثانية 1410 هـ - 1990م، 1/ 131، وشرح مختصر الروضة: سليمان بن عبد القوي بن الكريم، أبو الربيع (ت: 716هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ، 1407 هـ/ 1987 م، 2/ 671.
[90] - الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت: 684هـ)، عالم الكتب الطبعة: د.ط، د.ت، 2/ 61.
[91] - معجم اللغة العربية ،2/ 1060، و المعجم الوسيط،1/ 438.
[92] - معجم اللغة العربية ،2/ 677.
[93] - المرجع السابق،3/ 2110.
[94] - نفس المرجع،3/ 2110.
[95] - معجم اللغة العربية، 3/ 2021.
[96] - المرجع السابق،2/ 897.
[97] - المرجع السابق،2/ 423.

ثاقب النّظر / ثاقب البصر: ذو فِراسة وبُعْد نظر[99].

خالس جارته النّظر: نظر إليها بصورة خفيَّة[100].

دقّق النّظر في كذا: درسَه بانتباه وعناية " دقَّق النظرَ في قضيّة / مسألة [101].

رنّق النّظر إليه: أدامه، أطاله " رنَّق النَّظر إلى منظر طبيعي جَذَّاب"ل[102].

زغلل الضّوء النّظر:حيّره[103].

سارقه النّظر / سارق النّظر إليه: ترقّب غفلة منه لينظر إليه[104].

شحيح النّظر: قليل البصر[105].

صعّد فيه النّظر: نظر إلى أعلاه يتأمله[106].

معنى رأى :

رأى - يرى ، رأيا ورؤية وراءة ، ورئياناً[107].

رأى: نظر بالعين أو بالقلب أو بالعقل[108].

رأاه : أبصره بعينيه[109].

رأى الشيء: اعتقده[110].

رأَى يَرَى، رَه، رُؤْيا، فهو راءٍ ، والمفعول مَرْئِيّ[111].

رأى في منامه كذا حَلَم " رأيْتُ فيما يرى النّائم أنّني أطوف حول الكعبة[112] ، قال تعالي: { قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ }(الصافات:102).

رأى العالِمُ شيئًا اعتقده ونادي به ، عبّر عن رأيه بصراحة[113].

---

[98] ـ المرجع السابق،2/ 2400.
[99] ـ المرجع السابق،1/ 317.
[100] ـ المرجع السابق، 1/ 678.
[101] ـ المرجع السابق، 1/ 757.
[102] ـ المرجع السابق، 2/ 947.
[103] ـ المرجع السابق، 2/ 987.
[104] ـ شمس العلوم ، 5/ 3066، والمعجم الوسيط،1/ 428.
[105] ـ معجم اللغة العربية ، 2/ 1170.
[106] ـ المرجع السابق، 2/ 1295.
[107] ـ القاموس المحيط،1285.
[108] ـ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني ، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، 475، والتاج، 38/ 102.
[109] ـ مختار الصحاح،35، المعجم الوسيط، 1/ 320.
[110] ـ مختار الصحاح ، 1/ 214، والتاج، 8/ 401.
[111] ـ معجم اللغة العربية ، 2/ 838.
[112] ـ معجم اللغة العربية ، 2/ 828، المعجم الوسيط، 2/ 965.

رأى في الفقه رأيًا[114].

رأى فلانًا عالمًا : ظنّه أو علمه كذلك[115].

يرى المؤمنُ الحسابَ حقًّا، رأيتُني على حقٍّ[116].

أرأيت : ماذا تظن ؟ أخبرني[117].

أُراه : أظنه[118].

تُرى، يا تُرى، يا هل تُرى : يا رجل هل ترى وتظن، ألم تر إلى كذا ؟ لإفادة التعجّب مع طلب الرأي من السامع[119].

رأى الهلالَ أبصره بالعَيْن، ورأيتُ النجمَ يسبح في السماء[120].

حجب الضبابُ الرُّؤية[121]، قال تعالى:{ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا }،(الأنعام:76).

داري ترى داره: تقع مُقابِلةً له[122].

رأى النُّجومَ ظهرًا: حلَّ به مكروه لم يعهده من قبل[123].

رأى منه عجبًا : رأى شيئًا لم يكن يتوقعه[124].

لا يرى أَبْعَد مِن أَنْفه: قاصر الفهم ، ليس لديه بُعْد نظر للأمور[125].

رأى الشَّخصُ الأمرَ: تأمَّله، تروَّى فيه[126].

رأى الشَّيءَ: وَجَدَه[127]:{ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيرًا }(الإنسان:13).

---

[113] ـ معجم اللغة العربية ، 2/ 828.
[114] ـ الصحاح ، 1/ 2247، و اللسان ،14/ 293.
[115] ـ معجم اللغة العربية ، 2/ 828.
[116] ـ المرجع السابق، 2/ 828.
[117] ـ المرجع السابق، 2/ 828.
[118] ـ أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو ، الزمخشري (ت: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م، 1/ 326، ومعجم اللغة العربية ، 2/ 828.
[119] ـ معجم اللغة العربية ، 2/ 828.
[120] ـ المرجع السابق ، 2/ 828.
[121] ـ المرجع السابق ، 2/ 828.
[122] ـ المرجع السابق ، 2/ 828.
[123] ـ المرجع السابق ، 2/ 828.
[124] ـ المرجع السابق ، 2/ 828.
[125] ـ المرجع السابق ، 2/ 828.
[126] ـ المرجع السابق ، 2/ 828.
[127] ـ المرجع السابق ، 2/ 828.

الفصل الثانى

العين في القران الكريم والسنة المطهرة

تناول القرآن الكريم الحواس الخمس بالتفصيل الدقيق والمباشر، وبالإشارة إلى الوظائف التى ينبغى أن تقوم بها تلك الحواس ووجدت العين ووظيفتها وهى الحاسة التى تشهد ومن خلالها يأتى التفكر والتدبر ،ولهذا ورد ذكرها وذكر وظيفتها وأهمية ما تؤديه ، لأن القرّآن الكريم كمنهج يخاطب العقل والعاطفة معا

العين هي الباصرة، وتُطلق على الحدقة، وهي عبارة عن مجموع طبقات تسع، محيط بعضها ببعض، ويغطي الحدقة الجفن، وقد تُطلق العين على مجموع الغلاف وما فيه، كما يراد بها حقيقة الشيء المدركة بالعيان، أو ما يقوم مقام العيان.

ما يهمنا هو العمليَّات المعرفية؛ أي: العين الجارحة؛ كما في قوله – تعالى : {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ} [البلد: 8]، وقال: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ} [المائدة: 45]، {تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ} [المائدة: 83]، فمُهمة العين في القرآن هي "الرُّؤية"؛ {يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ} [آل عمران: 13]، و"الإبصار"؛ {وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا} [الأعراف: 179]، {أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا} [الأعراف: 195]، و"المشاهدة"؛ {قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ} [الأنبياء: 61].

وصفت العين بأمورٍ كانت خاصَّة بها وهي الطَّمس، القِرى، المد، الازدراء، فيض الدَّمع، التغطية، الدوران، واللَّذة[4]. \

فالصفة الأولى في قوله - تعالى -: {وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ} [يس: 66]، والطمس يكون بذَهاب البَصَر، والتالية: {ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلاَ يَحْزَنَّ} [الأحزاب: 51]، {وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ} [طه: 131]،{وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا} [هود: 31]، {تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} [التوبة:92]، {الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي} [الكهف: 101]، {تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ} [الأحزاب: 19]،{وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ} [الزخرف: 71].

ب- **البصر**: من أهم عمليَّات العين: البصر، ويرادُ بما يرادفه وهو النَّظر، والرُّؤية، والمشاهدة، والملاحظة، والاطِّلاع، فالبصر هو إدراك العين، ويطلق على القوة الباصرة، وهو قوة مُرتَّبة في العصبين المجوفين، التي من شأنِها إدراك أشباح الصور، بانعكاس الضوء فيها؛ إذ البصر هو حاسة الرُّؤية.

وَرَد في القرآن مع ما يتعلق به من العمليَّات في "274" موضعًا؛ ليدلَّ على العلم القوي المضاهي لإدراك الرُّؤية، فيقال: بصر بالشيء: علمه عن عيان، فهو بصير به.

قال تعالى: {فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ} [القلم: 5]، {فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ} [الحاقة: (39) {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} [مريم: 42].

وبيان أنَّ العين هي أداة الإبصار في {أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا} [الأعراف: 195]، وفرق بين النظر والبصر؛ {وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ} [الأعراف: 198]؛ فالنظر هو عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي التماسًا لرؤيته، ولما كانت الرُّؤية من توابع النظر ولوازمه غالبًا، أُجْرِيَ لفظُ النظر على الرُّؤية على سبيل إطلاق اسم السبب على المسبب، كما ورد في حكاية عن طلب موسى؛ {رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ}[الأعراف: 143]؛ فكان الردُّ: {قَالَ لَنْ تَرَانِي} [الأعراف: 143]، والرؤية إذا أضيفت إلى الأعيان كانت بالبصر، وتطلق على المنام والوهم، فالبصر خاص بالمعاينة والمشاهدة بالعين، فلازم البصر الإدراك؛ وهذا غير الرؤيا التي قد تكون مع عدم إحاطة؛ لذا قال تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام: 103]، وهذا في الدُّنيا والآخرة؛ "أي: لا تُحيط به الأبصار، وإن كانت تراه وتفرحُ بالنَّظر إلى وجهه، فنفي الإدراك لا ينفي الرُّؤية، بل يثبتها بالمفهوم، فإنه إذا نفى الإدراك الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دل على أن الرؤية ثابتة، فلو أراد نفيها، لقال: لا تراه الأبصار، ونحو ذلك.

عودًا على آية الأعراف؛ حيث فرق بين النَّظر والبصر، فالكفَّار يحدقون في النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - غير أنَّهم لا يبصرون؛ أي: لا يدركون فضله، ولا يستشعرون كرمه عليهم، ولا ينتفعون بالنظر إليه، ولا بالهدى المرسل به.

وللبصر صفات عدة في القرآن هي:

- البصير من أسماء الله، وهو للأعمال الظَّاهرة لنا، يقترن كثير بالسميع والخبير، والله - تعالى - سمى نفسه بصيرًا، ووصف نفسه بأنه بصير لأعمال الناس، وورد في القرآن وصفه الرُّؤية؛ {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ} [البقرة: 144]، كما وصف بالنَّظر؛ {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [يونس: 14]. ضد البصير الأعمى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} [الرعد: 16].

الزيغ: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} [النجم: 17]؛ أي: ما مال بصره، فهي رُؤية عين، وليس من خداع البصر.

الرجوع: {فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} [الملك: 3].

الانقلاب: {يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} [الملك: 4]، وهنا وصف بالحسرة.

الحِدَّة: {فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} [ق: 22].

الشخوص: {إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} [إبراهيم: 42]؛ أي: لا تطرف من شدة ما ترى من الأهوال، فشخوص البصر يدُلُّ على رُؤية أمر جلل عظيم الأهمية، كما يدل على فزع وانزعاج القلب.

العمى: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: 46].

الخشوع: {أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ} [النازعات: 9]، وهذا خوف مع هيبة واحترام.

السُّكْر: {لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ} [الحجر: 15]؛ أي: أصابها سُكر وغشاوة، فهي ترى ما ليس موجودًا.

التقلب: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الأنعام: 110]، وذاك من الحيرة والتيه؛ بسبب الشبهات.

الصرف: {وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأعراف: 47].

الطبع: {أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ} [النحل: 108].

الغض: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ} [النور: 31].

ج - **النظر**: والنظر هو التحديق لإدراك الصُّور، في أول مراتب الإبصار، ثم تليه الرُّؤية، وهي من لوازمه؛ {فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} [آل عمران: 143].

وقد تقرَّر الشروع بطلب النظر في مواطن كثيرة، إمَّا على جهة الوجوب، وإمَّا على جهة الندب.

كما تقرر النَّهي عن النظر بها، وإيجاب غضِّها، أو النَّدب إليه في مواطن كثيرة، وإباحته والعفو عنه في مواطن كثيرة..

واستعمال النَّظر في القرآن كان بالإرشاد إلى التأمُّل، فهو تقليبٌ للبصر مع استغراق وقت؛ إذ يُقاربه في المعنى الانتظار، فلا يكون النَّظر بسرعة بل بتمهل؛ لأنَّ الغاية من تقليب البصر وتحديق العين: الوصول إلى إدراك المنظور إليه؛ لتحصل منه الرُّؤية، وقد يراد به التأمُّل، والفحص، والمعرفة الحاصلة بعد الفحص؛ وهي الرويَّة، واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة.

فيقال: نظرت إلى كذا، إذا مددت طرفك إليه، رأيته أم لم أره، ونظرت فيه: إذا رأيته وتدبَّرته، ونظرت له: رحمته، وإليه: رأيته، وعليه: غضب عليه، ونظره: انتظره..

وللنَّظر أحوال مُختلفة وكيفيَّات مُتنوعة نفصل منها:

إذا نظر الإنسان إلى الشيء بمجامع عينه، قيل: رَمَقَهُ.

فإن نظر إليه من جانب أذنه، قيل: لَحَظَهُ.

فإن نظر إليه بعجلة، قيل: لَمَحَهُ.

فإن رماه ببصر مع حِدَّة نظر، قيل: حَدَجَهُ بطرفه.

فإن نظر إليه بشدة وحِدة، قيل: أرْشَقَهُ، رشقه، وأسَفَّ النظر إليه.

فإن نظر إليه نظر المتعجب منه، والكاره له، والمبغض إياه، قيل: شَفَنَه، شفن إليه.

فإن أعاره لحظ العداوة، قيل: نظر إليه شزرًا.

فإن نظر إليه بعين المحبة، قيل: نظر إليه نظرة ذي "عَلَقٍ".

فإن نظر إليه نظر المتثبت، قيل: توضَّحَه.

فإن نظر إليه واضعًا يده على حاجبه، مستظلاً بها من الشمس؛ ليستبين المنظور إليه، قيل: استكَفَّه واستوضحه واستشرفه.

فإنْ نشر الثوب ورفعه لينظر إلى صفاته، أو سخافته، أو يرى عوارًا إن كان به، قيل: استشفَّه.

فإن نظر إلى الشيء كاللمحة، ثم خفي عنه، قيل: لاحَهُ، لَوَّحَه.

فإن نظر إلى جميع ما في المكان حتى يعرفه، قيل: نفضه، نفضًا.

فإن نظر في كتاب أو حساب؛ ليُهذِبه، أو ليستكشف صِحَّته، وسقمه، قيل: تصفَّحه.

فإن فتح جميع عينيه لشدة النظر، قيل: حَدَّق.

فإن لألأهُما، قيل: بَرَّق عينيه.

فإنِ انقلبَ حملاق عينيه، قيل: حمْلَقَ.

فإن غاب سوادُ عينيه من الفزع، قيل: برِق بصره.

فإن فتح عينه مُفْزَعًا أو مهددًا، قيل: حَمَّجَ.

فإن كسر عينيه في النظر، قيل: دَنْقَسَ، وطَرْفَشَ.

فإن نظر إلى أفق الهلال لِلَيلته ليراه، قيل: تَبصَّرَه.

فإن اتَّبع الشيء بصره، قيل: أثاره بصره.

يقول الله سبحانه وتعالى : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179)وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(180)

لفظ العين في القران الكريم: جاء في معجم ألفاظ القران الكريم الذي صدر من مجمع اللغة العربية مادة "ع ى ن" (عين – العين – عينها – عيني – عيناك – عينان – عيناه – عينيك – عينين – عيون – العيون – عيونا – أعين – الأعين – أعينكم – أعينهم – أعينهن– معين)[128].

ووردت لفظ "العين" في القرآن الكريم مضافة لله تعالى في خمس آيات، الأولى: قوله تعالى: {واصنع الفلك بأعيننا ووحينا } (هود :37) ، والثانية: { فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا } (المؤمنون:27)، والثالثة: { وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني } (طه :39) ، والرابعة: { واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا} (الطور: 48) ، والخامسة: { تجري بأعيننا }،(القمر: 14).

هذه مجموع الآيات التي ورد بها لفظ "العين" مضافاً لله سبحانه وتعالى، وسوف نعرض لتفسيرها حتى يتضح معناها، فأما الآية الأولى ومثلها الثانية فقد صرح جمع من المفسرين من الصحابة والتابعين بأن المراد بها صفة الله سبحانه والتي يرى بها كل مرئي، وهو القول الذي نقله الإمام الطبري[129] في تفسيره عن ابن عباس[130]، و قتادة[131]، وغيرهما.

ومن المفسرين من فسرها بالرعاية والحفظ[132]، أي: واصنع السفينة يا نوح ونحن نحفظك ونعينك ونعلمك. ولا منافاة بين التفسيرين فإن الله يرى نوحاً وعمله وهو يحوطه ويحفظه ويرعاه

أما قوله تعالى: { وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي }(طه:39)، فذكر الطبري في تفسيرها رأيين:

الأول: ولتغذى وتربى على محبتي وإرادتي، أي أن تنشئتك وتربيتك تحت بصري ونظري ورعايتي وحفظي.

---

[128] ـ معجم ألفاظ القران الكريم : مجمع اللغة العربية

[129] ـ محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر(224 - 310 هـ): المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. من مصنفاته: (أخبار الرسل والملوك) يعرف بتاريخ الطبري ، و (جامع البيان في تفسير القرآن) يعرف بتفسير الطبري. وهو من ثقات المؤرخين .ينظر ترجمته: إرشاد الأريب 6/ 423، وتذكرة الحفاظ 2/ 351 ، وطبقات السبكي 2/ 135 – 140.

[130] ـ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس(3 ق هـ - 68 هـ): حبر الأمة. ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوّة، فلازم رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها. له في الصحيحين وغير هما (1660)حديثاً . وكان آية في الحفظ. ينظر ترجمته: الإصابة في تمييز الصحابة، ت 4772 وصفة الصفوة 1/ 314 وحلية الأولياء 1/ 314.

[131] ـ قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب (61 – 118هـ):وكان أكمه ولد أعمى، وكان أبوه أعرابياً ولد بالبادية، وأمه سرّية من مولّدات الأعراب، وكان يقول بشيء من القدر ثم رجع عنه. ينظر ترجمته: طبقات ابن سعد 229/7، وتذكرة الحفاظ 122 وسير الذهبي إعلام النبلاء 5/ 268.

[132] ـ تفسير الماتريدي: محمد بن محمد الماتريدي (ت: 333هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005م، 6/ 129، و البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد الأنجري(ت: 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: 1419 هـ، 2/ 521.

والثاني: وأنت يا موسى بعيني في أحوالك كلها أي أن حفظ الله ورعايته لموسى لا تقتصر على فترة التنشئة فحسب، بل هو تحت عين الله ونظره وحفظه ورعايته في أحواله جميعها[133].

أما قوله تعالى: { وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}(الطور:38)، فقد قال الإمام الطبري في تفسيره: "فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين "[134].

وأما قوله: { تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا }(القمر:14)، فيقول الطبري أيضاً: "تجري السفينة التي حملنا نوحا فيها بمرأى منا ومنظر "[135]، فهي تجري بحفظ الله ورعايته ولولا حفظ الله لها لغرقت في ذلك الطوفان المهول .

نلاحظ أن كلمة العيون في البيان القرآني المعجز تختلف عن كلمة الأعين من ناحية الاستعمال. إذ لم يستعمل القرآن الكريم العيون إلا لعيون الماء .

وقد وردت كلمة (العيون)، في القرآن الكريم في عشرة مواضع كلها بمعنى عيون الماء[136] من مثل قوله تعالى:{ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ } (الحجر:45)، وقوله سبحانه: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَعُيُونٍ }(المرسلات:45)، وقوله: { فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ } (الشعراء : 57).

في حين جمع العين الباصرة على أعين[137] مثل قوله : { وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } (المائدة : 83)، وقوله : { قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ}(الأعراف : 116)، وقوله: { الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا }(الكهف: 1

<u>النظر في القران الكريم</u>

العين أداة ووظيفتها النظر أو البصر فكلمة نظر في القران الكريم مادة ن.ظ.ر قد وردت في القرآن(130) مرة بتسع وعشرين صيغة. وهذه بعض النماذج منها: {قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ العنكبوت}(الأنعام:11).

---

[133] ـ جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة، الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000م، 18/ 304.

[134] ـ تفسير الطبري، 22/ 488.

[135] ـ تفسير الطبري،22/ 581.

[136] ـ زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي (ت: 597هـ)،تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ، 2/ 535.

[137] ـ الموسوعة القرآنية، خصائص السور: جعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التو يجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1420 هـ، 6/ 152.

وهذه الآية ـ حسب ما ورد في حاشية الصاوي على الجلاليين ـ خطاب لمنكري البعث ليشاهدوا كيف أنشأ الله جميع الكائنات, ومن قدر على إنشائها يقدر على إعادتها[138].

2 ـ{فَانظُرْ إِلَىَ آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىَ وَهُوَ عَلَىَ كُلّ شَىْءٍ قَدِيرٌ } (الروم: 50).

3 ـ{فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىَ طَعَامِه } (عبس: 24).

في هذه الآية بيان لتعداد النعم المتعلقة بحياة الإنسان في الدنيا, إثر بيان النعم المتعلقة بإيجاده[139].

4 ـ{فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمّ خُلِقَ } (الطارق:5).

5 ـ{أَفَلَمْ يَنظُرُوَاْ إِلَى السّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيّنّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ } (ق: 6).

البصر في القران الكريم

وردت كلمة (البصر) ومشتقاتها وتصاريفها (148مرة). كلمة البصر رؤية الصور بالعينين في(88)حالة ، إذ إنها دلت في باقي المرات على التبصير العقلي والفكري بظواهر الكون والحياة أو بما يتلقاه المرء ويسمعه من آيات وأقوال. وقد ترافقت كلمتا (السمع و البصر) في(38)آية كريمة.

قال الله تعالى: {....إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} (الإسراء:36) كما قال تعلى{ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} (السجدة:9).

{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ}(المؤمنون:78).

{....وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ..} (الأقحاف:26).

{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (النحل: 78).

---

[138] ـ تفسير الصاوي "حاشية الصاوي على الجلالين، طبعة دار الفكر بيروت 1986م، 134/2.

[139] ـ تفسير الماتريدي، 10/ 425، و الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو ، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة: الثالثة - 1407 هـ، 4/ 704.

{قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ }(الملك: 23).

{ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}(يونس:31).

{ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ }(هود:20).

{ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } (الإنسان: 2).

الفصل الثالث

علاقة العين بالقلب

قال الله سبحانه وتعالى:{ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(30)وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ}(النور:30 -31).

إن العين مدخل مباشر قوى التأثير على القلب ورغم ذلك لم يحرم الإسلام النظر جملة وتفصيلاً وإنما أباح بعضه للمصلحة. ومن هنا فان العين هي مرآة القلب وفى الصحيح عن أَبُي هُرَيْرَةَ[140]: عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، وَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ النُّطْقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ»[141]، وهذا الحديث يوضح مدى إثارة العين لمكامن الشهوة وإثارة الرغبة الجامحة التي تتمكن من النفس فتحفزها[142] .

يا رَامِيًا بِسِهَامِ اللَّحْظِ مُجْتَهِدًا أَنْتَ الْقَتِيلُ بِمَا تَرْمِي فَلَا تُصِبْ

وَبَاعِثُ الطَّرْفِ تَرْتَادُ الشِّفَاءَ لَهُ تَوَقَّهُ إِنَّهُ يَرْتَدُّ بِالْعَطَبِ[143]

وعَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لَا تُتْبِعِ النَّظَرَ النَّظَرَ، فَإِنَّ الْأُولَى لَكَ وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ »[144].

فان قلنا إن النظر من اقرب الوسائل التي تعبر عن مكنون الإنسان فقد اقتضت الشريعة الإسلامية تحريمه، وإباحته في موضع الحاجة أو هكذا تباح النظرة للمصلحة الراجحة وكما أبيحت الصلاة في أوقات النهى كقضاء الفوائت وصلاة الجنازة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - «النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، مَنْ تَرَكَهَا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ آتَاهُ اللَّهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتُهُ فِي قَلْبِهِ»[145].

---

[140] ـ عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة (21 ق هـ - 59 هـ): صحابي، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له. نشأ يتيما ضعيفاً في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله - صلّى الله عليه وسلم - بخيبر، فأسلم سنة 7 هـ ولزم صحبة النبي، فروى عنه (5374) حديثاً. وولي إمرة المدينة والبحرين.ينظر ترجمته: تهذيب الأسماء واللغات 2/ 270، والجواهر المضيئة 2/ 418.

[141] ـ إسناده صحيح على شرط الشيخين. أخرجه البخاري في صحيحه.كتاب: الاستئذان ، باب: زنا الجوارح دون الفرج (54/8، ح 6243)، ومسلم في صحيحه.كتاب: القدر، باب: قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره (2046/4،ح/2657) .

[142] ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، ، 11/ 504.

[143] ـ من أبيات لابن القيم الجوزية، دائع الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،271/2.

[144] ـ أخرجه أحمد(358/4 و361)، ومسلم في صحيحه.كتاب: الآداب،باب: نظر الفجاءة (1366/3،ح/2159) ، وأبو داود كتاب: النكاح: باب: ما يؤمر به من غض البصر(3/ 346،ح/2148) والترمذي في سننه، كتاب:الأدب: باب ما جاء في نظرة المفاجأة (4/ 398، ،ح/2776) ،وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

[145] ـ الطبراني في "الكبير (10362) ، ومسند الشهاب القضاعي (292)، وإسناده ضعيف أيضاً.

وقال جرير بن عبد الله[146]- رضي الله عنهما - : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة فامرنى أن أصرف بصري »[147]. ونظرة الفجأة هي النظرة الأولى التي تقع بغير قصد من الناظر فما لم يعتمده القلب لا يعاقب عليه. وأرشد من ابتلى بنظرة الفجأة أن يداويه بإتيان امرأته، وقال: «فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلُ الَّذِي مَعَهَا »[148].

والثاني إن النظر يثير قوة الشهوة فأمره بتنقيصها بإتيان أهله، ففتنة النظر أصل كل فتنة.

قال الاصمعى[149]: رأيت جارية في الطواف كأنها مهاة فجعلت انظر إليها وأملأ عيني من محاسنها فقالت يا هذا ما شأنك؟ قلت وما عليك من النظر فأنشأت تقول:

وكنتَ متى أرسلتَ طرفكَ رائداً لقلبكَ يوماً أتبعكَ النَّواظرُ

رأيتَ الذي لا كلُّه أنتَ قادرٌ عليه ولا عَنْ بعضه أنْتَ صابرُ [150]

النظرة سهم ...فان السهم إن لم يقتل جرح أو هي بمنزلة الشرارة من النار حين تلتهم اليابس من الحشيش فان لم تقضى عليه أكلت معظمه.

كل الحوادث مبدأها من النــظر ومعظم النـار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في القلب صاحبها تلك السـهام بلا قـوس ولا وتـر

والمرء ما دام ذا عـين يقلبها في أعين الغيد موقوف على الخطر

يسـر مقلته ما ضـر مهجتـه لا مرحبا بسـرور عـاد بالضرر

وقال آخر

أن رمت أن تحيا سليما من الردى ودينك موفور وعرضك صـين

فلا ينطق منـك اللسان بسـوءة فكلك سوءات وللناس السن

---

[146] ـ جرير بن عبد الله بن جابر البجلى القسرى، أبو عمرو ،اليمانى(ت 51) بقرقيسيا: صحابي من الطبقة الأولى، روى له (البخاري - مسلم - أبو داود - الترمذي - النسائي - ابن ماجه)،قال الذهبي: صحابي قال : (بسط له النبي - صلى الله عليه وسلم- رداءه ، و أكرمه).ينظر ترجمته:معرفة الصحابة 2/ 591،وسير إعلام النبلاء2/ 530.

[147] ـ أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب: الآداب ، باب: نظر الفجاءة(2/ 1699،ح/ 2159).

[148] ـ أخرجه الترمذي في سننه.كتاب: في الأدب ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي الرَّجُلِ يَرَى الْمَرْأَةَ تُعْجِبُهُ(2/ 455، ح/ 1158).

[149] ـ عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي(122 - 216 هـ): راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمع. ومولده ووفاته في البصرة. كان كثير التطواف في البوادي، وأخباره كثيرة جداً. وكان الرشيد يسميه " شيطان الشعر ".وتصانيفه كثيرة، منها " الإبل " و " الأضداد " و " خلق الإنسان " و " المترادف ". ينظر ترجمته: جمهرة الأنساب 234 ، وتاريخ بغداد 410/10.

[150] ـ الحماسة البصرية: علي بن أبي الفرج بن الحسن، صدر الدين، أبو الحسن البصري (المتوفى: 659هـ)، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب – بيروت، 6/ 165.

وعينك إن أبد ت إليك مــعايبا فدعها وقل يا عين للناس أعين[151]

شعر نسب للامام الشافعي[152]:

يَقُولُونَ لَا تَنْظُرْ وَتِلْكَ بَلِيَّةٌ أَلَا كُلُّ ذِي عَيْنَيْنِ لَا شَكَّ نَاظِرُ

وَلَيْسَ اكْتِحَالُ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ رِيبَةً إِذَا عَفَّ فِيمَا بَيْنَ ذَاكَ الضَّمَـــائِرِ [153]

ويقال أن غض البصر يورث الفراسة فإنها من النور وثمرته فإذا استنار القلب صحت الفراسة لأنه يصبح كالمرآة المجلوة والنظر بمنزلة التنفس فيها فإذا أطلق العبد نظرة تنفست نفسه الصعداء في مرآة قلبه فطمست نورها.[154]

وسوف نستكمل الحديث باستفاضة عن فراسة المؤمن:

مِرْآةُ قَلْبِك لَا تُرِيك صَلَاحَهُ ... وَالنَّفْسُ فِيهَا دَائِمًا تَتَنَفَّسُ[155]

وان غض البصر يخلص القلب من سكرة الشهوة فان إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة:

سَكْرَانُ سُكْرُ هَوًى وَسُكْرُ مُدَامَةٍ ... وَمَتَّى إِفَاقَةُ مَنْ بِهِ سُكْرَانِ[156]

يقول ابن الجوزية[157] :" لما كانت العين رائداً والقلب باعثاً وطالباً، وهذه لها لذة الرؤية وهذا له لذة الظفر كانا في الهوى شريكي عنان، ولما وقعا في العناء واشتركا في البلاء أقبل كل يلوم صاحبه ويعاتبه"[158].

---

[151] ـ بواسطة التبرج لنعمات صدقي 28، وضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي،دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة، 9/ 3911.

[152] ـ محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله(150 - 204 هـ): أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة (بفلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين. وقصد مصر سنة 199هـ فتوفي بها. برع في الشعر واللغة وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث. له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب (الأم) ، ومن كتبه (المسند)، و (أحكام القرآن).ينظر ترجمته: طبقات الشافعية للسبكي، وتذكرة الحفاظ 1/ 329.

[153] ـ غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت : 1188هـ)، مؤسسة قرطبة – مصر، الطبعة : الثانية ، 1414 هـ / 1993م، 1/ 101.

[154] ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية. والبيان في مداخل الشيطان: عبد الحميد، قدم له: محمد أحمد الراشد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: السادسة، 1406 هـ - 1986 م، 154.

[155] ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،الطبعة: 1403هـ/1983 م، 1/ 101.

[156] ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ)،تحقيق إحسان عباس، دار صادر- بيروت - لبنان ص. ب 10، الطبعة الأولى 1968م،255/1، وروضة المحبين ونزهة المشتاقين، 1/ 104.

فقال القلب للعين: "أنت التي سقتينى إلى موارد الهلكات وأوقعتينى في الحسرات بمتابعتك اللحظات، ونزهت طرفك في تلك الرياض ومن كثرت لحظاته دامت حسراته وضاعت عليه أوقاته وفاضت عبراته"[159]، وقول الناظم:

نظر العيون إلى العيون هو الذي جعل الهلاك إلى الفؤاد سبيلا

ما زالت اللحظات تغزو قلبه حتى تشحط بينهن قتيلا[160]

وقال آخر:

تمتَّعتُمَا يا مُقلَتَيَّ بنظرةٍ فأوردتُما قلبي أمرَّ الموارد

أعيناي كُفَّا عن قتالي فإنه من البغي سعي اثنين في قتل واحدٍ[161]

قالت العين: ظلمتني أولاً وآخراً وبؤت بإثمي باطناً وظاهراً وما أنا إلا رسولك الداعي إليك ورائدك الدال عليك[162].

وإذا بعثت برائد نحو الذي تَهْوَى وتَعْتُبَه ظلمت الرائدا[163]

والحديث للعين: فآنت الملك المطاع ونحن الجنود والأتباع أركبتني في حاجتك خيل البريد ثم أقبلت على بالتهديد والوعيد، فلو أمرتني أن أغلق على بابي، وأرخى على حجابي لسمعت وأطعت ولما رعيت في الحمى ورتعت[164]. يقول - صلى الله عليه وسلم - :« أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[165].

يقول طرفي لقلبي هجت لي سقما والعين تزعم أن القلب أنكاها

والجسم يشهد أن العين كاذبة وهى التي هيجت للقلب بلواها

---

[157] ـ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين(691 - 751 هـ): من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو الّذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق. وألّف تصانيف كثيرة منها: (إعلام الموقعين) و (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) و (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل). و (كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء).ينظر ترجمته:الدرر الكامنة 3/ 400، والبداية والنهاية 14/ 234 ، وشذرات الذهب 6: 168.

[158] ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين، 1/ 106.

[159] ـ المرجع السابق، 1/ 106.

[160] ـ المرجع السابق ، 1/ 107.

[161] ـ القاضي الأرجاني ، الكشكول: محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمذاني، بهاء الدين (ت: 1031هـ)، تحيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1998م،115/1.

[162] ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين، 1/ 107.

[163] ـ المرجع السابق، 1/ 108.

[164] ـ المرجع السابق ، 1/ 108.

[165] ـ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب : الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه، (1/ 20، ح/52).

لولا العيون وما يجنين من سقم ما كنت مطرحاً من بعض قتـلاها

فقالت الكبد المظلومة اتئدا قطعتماني ومـا راقبـتما الله[166]

يقول آخر :

يقول قلبي لطرفي أن بكى جزعا تبكى وأنت الذي حملتني الوجـعا

فقال طرفي له فيما يعـاتبه بل أنت حملتني الآمال والطـمعا

حتى إذا خـلا كل بصـاحبه كلاهما بطويل السـقم قد فجـعا

ناداهما كبدي لا تبعدا فلقد قطعتماني بما لاقيـتما قطـعا[167]

قال شاعر:

فو الله ما أدري أنفسي ألومها على الحب أم عيني المشومة أم قلبي؟!

إن لمت قلبي قال العين أبصرت وإن لمت عيني قالت الذنب للقلب

فعيني وقلبي تقاسمتا دمـــى فيا ربَّ كن عونا على العين والقلب[168]

حكى الخرائطى عن بعض العلويين ، قال بينما أنا واقف على الحسن ابن هانىء وهو ينشد ويقول: ويلى على نجل العيون النهد الضمر البطـون

الناطقات عن الضمير لنا بألسنة الجـفون

فوقف عليه أعرابى ومعه ابنه فقال : أعد على ما قلت ، فأعاد عليه فقال : يا ابن أخى ويلك أنت وحدك من هذا ! ، او ويلى أنا أنت وويل لابنى وويل لجيراننا كلهم.

ويقول التلمسانى:

غزال غزانى بالحاظ لأنه إذا ما بدا فى حومة الحرب ضيغم

تكلمنى ألحاظه بسيوفـها ولم تـر قلبى ميتـا يتكلم

إذاً فالعين، تستلذ وتستمتع وتحر الأحاسيس الكامنة وتأثر فى كيان الإنسان، فإن قلنا إن العين تقرأ ما حولها فلا يفوتنا أن نقول بأن القلب يترجم وينفعل ويتفاعل ويحرك تلك الانفعالات فيرسلها بتلذذ وتمنى إلى أطراف الجسد ، فالقلب يستثار بما ترصده العين وينتشى تمنيا وتوهجا وقد تتمكن فى القلب محبة لصورة قد جملها له النظر وعمق أبعادها له، فأصبح القلب أسيرا مقيدا تواقا

---

[166] ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين، 1/ 109.

[167] ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين، 1/ 110.

[168] ـ المرجع السابق ، 1/ 110.

مشتاقا متلهفا ينتظر من العين المزيد من الاسترسال ، وبعدها قد يصبح القلب هو الذى يلح على العين ثم يستجديها بأن تسترسل أكثر وتعاود الكرة مرات ومرات حتى تشبعه ، وهو بين عسى ولعل وبين العشق والتمنى يظل القلب يراوح بين استجداء العين وبين عطش لايرويه النظر.

وإن ما بين العين والقلب لا يختلف كثير بين خصومة الروح والجسد كما وردت في الأثر: (لا تزال الخصومة يوم القيامة بين الخلائق حتى تختصم الروح والجسد، فيقول الجسد للروح أنت التي حركتني وأمرتني وصرفتني وإلا فأنا لم أكن أتحرك ولا أفعل بدونك. فتقول الروح له: وأنت الذي أكلت وشربت وباشرت وتنعمت فأنت الذي تستحق العقوبة ، فيرسل الله سبحانه إليهما ملكا يحكم بينهما فيقول : مثلكما مثل مقعد بصير وأعمي يمشى دخلا بستاناً فقال المقعد للأعمى: أنا أرى ما فيه من الثمار ولكن لا استطيع القيام، فقال الأعمى: أنا استطيع القيام ولكن لا أبصر شيئاً فقال له المقعد: تعال فاحملني فأنت تمشى وأنا أتناول، فعلى من تكون العقوبة، فيقول عليهما قال فكذلك أنتما)[169].

العيون نافذة التأمل والخيال

الكون يحتوى آيات تحير فيها الإنسان، ووقف عاجزاً وقد امتلكت قلبه الدهشة ، فمهما بلغ من درجات العلم الدقيق لا يتمكن أن يصل إلا لأشواط ضئيلة جداً من هذا العمق الشاسع، وهذا المدى الواسع والحق يقال إن العلم الحديث أتاح للعيون البشرية أن ترى عالماً وخباياً كونية لم يراها أسلافنا في العصور السابقة ، فنجد أن العين كأداة جبارة لعبت دوراً حساساً في تغذية العقل البشرى بمعلومات كانت مستحيلة في الأزمنة السابقة , إلا أن تطور المايكرسكوب مثلاً وتكبير دقائق المخلوقات المتناهية الصغر إلى أحجام نتمكن من رؤيتها واضحة وسبر أغوار الفضاء عبر هذه الأجهزة المتطورة أضافت للعين خصوصية جليلة وعمق للحياة البشرية كان بمثابة أحلام بعيدة المنال أو خيال جامح لا 0يمكن بلوغه.

والقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه دائماً يقدم الدعوة للبشر من خلال آياته المحكمات إلى فتح أبواب العلم لأفاق الفكر الإنساني وترغيبه له في استعمال العقل في التدبر عبر هذه العين الجوهرة مرآة الروح المدهشة ليتمعن في هذا البناء الكوني الرهيب المتماسك المحكم الجميل البديع العظيم الأركان , الذي لا ترى فيه خللا أو تفككاً ليزداد الإيمان رسوخاً ويقيناً بأن الله هو الخالق المبدع وهو على كل شيء قدير، يقول الله - سبحانه وتعالى -: { الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ}(الملك:3-4)، وهى العظمة

[169] - المرجع السابق ، 1/ 111.

الإلهية اللامتناهية التي تتحدى البشر بل وتتحدى العقل البشرى في كل زمان ومكان عبر العين، وما خلقت له من تدبر وتفحص وتمعن وحب استطلاع فيعلم خلال هذه العين البشرية المدهشة وهى تتلمس المعجزات الكونية وما حولها من جمال وإبداع بيد الخلاق العظيم الذي لا تستطيع العين أن تحيط بروعة إبداعه وكمال تكوينه ولن تجد العين وهى تسعى جاهدة لإشباع فضولها إلا ما يدهشها ويبهرها .

ويقول تعالى: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} (الأعراف:185).

قد يشمل هذا التوجيه الراقي في هذه الآيات كل ما في هذا الكون من صور تقوى الاستدلال بعظمة الخالق، ومن بينها الجمال الإنساني الذي تظهر فيه روعة الإبداع الإلهي وصنعته المتقنة وكل ذلك دافع للمعرفة عبر النظر المدعوم بالفكر الرشيد.

ذي طلعة سبحان فالق صبحه ومعاطف جلت يمين الغارس

مرت بأرجاء الخيال طيوفه فبكت على رسم السلو الدارس[170]

ورؤية الجمال المتدفق بالحسن ينطق لسان الدهشة ويظهر القدرة المتفردة لله سبحانه والعين هنا بمثابة المفتاح الذي يدخل ذلك الإجلال إلى الفكر فيسبح الناظر لله - سبحانه وتعالى - وقد أشرق وجدانه بالجمال المعجز الدقيق الذي لا تصنعه إلا يد الحكيم الخبير.

يقول - جل شأنه : {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}(آل عمران:190).

رغم أن العين لم تذكر مباشرة في هذه الآية إلا أن الألباب لا تستنير إلا من خلال البصر ولن تتعرف على هذه المعايير وتلك الآيات إلا عبره وهو الذي يترجم رموز المعاني الكامنة بين هذه الصور التي تستطع بالبرهان، وليس من رأى كمن سمعاً وتذعن الأفكار بأنه لا اله إلا الله الواحد القهار.

ورغم أن النظر يستدرج العقول إلى الانحراف أحياناً ولكن أليس مباحاً للعيون أن تتعبد في محراب المعرفة وقد تنظر النفس إلى الجمال بعين التفكر حتى تدرك جوانحها الأنبهار والوقوف في مصاف الاندهاش الإيماني.

[170] - روضة المحبين ونزهة المشتاقين، 1/ 111.

يقول الله - سبحانه وتعالى: { وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ } (الداريات:20).

وأحياناً كثيرة لا يرى الإنسان كل الزوايا التي فيه كإنسان من خلال تركيبه القاصر عن الإحاطة بما حوله، ولكن يزداد إيماناً حين يتأمل من حوله من بني البشر باختلاف سحناتهم وأشكالهم وألوانهم وتباين طبائعهم. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «اطْلُبوا الخيرَ عندَ حِسانِ الوُجوهِ»[171].

والمغذى هنا ليس في الجمال التكويني للوجه الإنساني فقط، ولكن سمت الإنسان وبشاشته هي التي تدفع التفاؤل بأنه مصدر للخير والعين يجب أن تأخذ موقعها الطبيعي في تقييم الأمور الحياتية المختلفة، وهى معيار للتثبت، وميزان وجداني لا يمكن أن يهمل أو لا يحسب له حساب.

خطب رجل امرأة فاستشار النبي - صلى الله عليه وسلم - في نكاحها فقال: «هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا؟» قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَانْظُرْ إِلَيْهَا»[172].

يقول الإمام الشافعي:

مَرِضَ الْحَبِيبُ فَعُدْتُهُ فَمَرِضْت مِنْ حَذَرِي عَلَيْهِ
فَأَتَى الْحَبِيبُ يَعُودُنِي فَشُفِيتُ مِنْ نَظَرِي إلَيْهِ[173]

ويقول الإمام الشافعي أيضاً:

يا كاحل العين بعد النوم بالسهر ما كان كحلك بالمنعوت للبصر
لو أن عيني إليك الدهر ناظرة جاءت وفاتي ولم اشبع من النظر
سقيا لدهر مضى مكان أطيبه لولا التفرق والتنغيـــــص بالسفر[174]

نلاحظ أن القران الكريم يستثير البصر ويدفعه إلى التأمل بدون أن يأتي بذكر العين وإنما يكتفي بالإرشاد إلى أهميتها يقول الله - سبحانه وتعالى- {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا(27)رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا}(النازعات:27-28)، وهى دعوة صريحة للعين البشرية للتفحص والتدقيق مع إعمال الفكر المتوازن حتى تصل إلى مرحلة الاقتناع بالنتيجة البديهية ثم رسوخ الإيمان{أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى

---

171 - مسند إسحاق بن راهويه،(947/3)برقم (1651)، ومجمع الزوائد (8/ 195)، ورواه الطبراني في الأوسط وفيه طلحة بن عمرو وهو متروك. وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة (1585) (2855) وقال: موضوع.

172 - أخرجه مسلم في صحيحه.كتاب: ، باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها(2/ 1040، ح/ 1424).

173 - الآداب الشرعية والمنح المرعية: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (ت: 763هـ)، عالم الكتب، 2/ 200.

174 -

السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ}(ق: 6)، فليكن للعين القدح المعلى في المخاطبة الإلهية للإنسان كيف لا وهى نافذة العقل، وبوابة الفكر ونبض الخيال وقلبه الذي يضخ الحياة بألوانها، وأبعادها للتفاعل البشري رغم أن هناك أمور حياتية ينظر لها بالفكرة، ولكن لا تكتمل الصور إلا بدعم العين مباشرة أو غير المباشر يقول الله - سبحانه وتعالى -{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا} (عبس:24- 26).

وفي كثير من الآيات القرآنية تتحرك الأفكار مع الخيال لكي تتكامل روح التفاعل والانفعال مع الصور المشاهدة بالعين كحقائق دامغة للتفكر والتدبر.

يقول الله – سبحانه وتعالى - {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ }(لقمان:10).

الفصل الرابع

العيون عالم من الأسرار

تكاد العين البشرية أن تكون مستودع الأسرار للنفس البشرية ، ويمكن أن تجد المعانى تتدفق من خلال هذا السر الكامن عبر النظر ،فبم تعبر عيون الأطفال الرضع ،وماتزال السنة الأطفال لاتتمكن من التعبير خلال النطق ، فبماذا تنطق عيونهم البريئة للأم الحنون؟ بأي لغة يتحدث الطفل الرضيع مع أمه ، يهامسها وتخاطبه ويناجيها وتداعبه، وليس بينهما مترجم... تنظر إليه فتتدفق المعاني الكلامية الصامتة، وتقرأ خلال نظراته عالمه ومكنون صدره... يرسل بكل تلقائية إشارات عميقة من نظراته، تستجيب له الأم ... فالعيون بها رموز متكلمة وللأرواح عبرها حديث غير مسموع ، تشرحه بكل بلاغة فيزياء النظر إن صح التعبير.

فالعيون سكوتها أحيانا كلام، وكلامها الصامت بيان، وكما تؤثر فهي تتأثر وتتفاعل... وتنفعل تقول وتسمع تتذوق وتستمتع وتستمع، تبلغ من خلال التعبير قمة النشوة والانبساط...والسعادة... يظهر الاستبشار، والفرح والابتهاج فيها، وتتأسف وتشكى وتتأرق، وتغضب ويرتسم فيها الغيظ وتحزن العين، وتعبر عن الألم والانقباض ويدخلها الخوف... والرهبة ...ويظهر عليها الوجل، ويسيطر عليها الحذر، ويرتسم فيها أحياناً الشك، والظن وكثير ما تظهر شخصية الإنسان من

خلال العيون فقد تحكم على شخص من نظرته بالذكاء أو الغباء ...أو الطمع ...أو الطيبة ...أو التكبر... أو الشجاعة... أو الحنان ...أو الخيانة.أو الجنون.

وجدت كثير من الغيبيات التي ارتبطت بالعين وتأثيرها وتأثرها وقدراتها الكامنة ،فقد وضع الله - سبحان وتعالى - من أسراره الجليلة ونعمه الكثيرة ما لا يحصيه إلا هو وكان لابد لي من تضمينها ،فإن هذا الكنز والموهبة الربانية العظيمة العين لا يمكن أن نغض الطرف عن أعماقها والزوايا الخفية التى قد تجد فى داخلها عالما واسعاً ، و آفاقاً لا حدود لها ودنيا تتميز بخصوصية استطاع الإنسان من خلالها بناء الحضارات الإنسانية وكل ذلك يعكس عظمة الخالق وقدرته وإبداعه اللامتناهي لهذه الآية الجوهرة الفريدة ومنها:-

1. العين والفراسة.
2. العين والجمال بين اللون والانفعال.
3. العين والحاسدة أو العائن.

العين والفراسة

ومن خلال شفافية الروح فان للعيون لغة صامتة متكلمة عميقة فصيحة يمكن أن يستشفها ويقرأها من منحه الله فطرة سليمة، وإيمان راسخ وفــراسة، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «اتَّقوا فِراسةَ المؤمنِ، فإنَّه يَنظرُ بنورِ اللهِ» [175]، فالصفاء الروحي، وسرعة البديهة، وسرعة الحفظ، ونقاء النفس والكرم ...رحابة الصدر، والتواضع من أكثر الصفات التي تمنح المؤمن هذه الموهبة ، التى تمكنه من ثبر الأعماق البشرية ومعرفة الخبايا.

هناك سؤال هل يمكن أن نقول مجازاً إن لبعض القلوب عيون ؟ تنظر الى ماوراء البصر أو ترى الخفايا، ولم أستطع مع هذا النوع من العيون إلا أن أقول جازما بأنها فراسة مباشرة، و ماكانت قصة عمر بن الخطاب مع سارية إلا أن هناك نظر يتخطى العين نفسها فتتم المخاطبة عبر الأرواح بتيسير من الخالق العظيم، فهناك بالتأكيد نظر يتخطى حدود الفكر والمنطق والمعطيات الإنسانية المحسوبة وهى فراسة ترى بنور الله سبحانه ما لا يمكن أن يراه الشخص العادى...

[175] ـ أخرجه التِّرْمِذِي في السنن.كتاب: التفسير، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الحِجْرِ (149/5، ح/3127)، والمعجم الكبير: 121/8. قال الألباني:ضعيف السلسلة الضعيفة (1821).

لغة الفراسة: "الاسم من قولك تفرست فيه خيراً، وهو يتفرس أي يتثبت وينظر، فهي إذن ذهن سريع الاستدلال، وهى الإلهام، وهى إدراك الأشياء بقوة الذكاء ووفرة الفطنة وحقيقتها[176]، أنها خاطر يهجم على القلب ينفى ما يضاده[177].

قال أبو سعيد الحراز[178]: "من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق، وتكون مواد علمه مع الحق بلا سهو ولا غفلة"[179].

وسئل بعضهم عن الفراسة؟ فقال: " أرواح تتقلب في الملكوت فتشرف على معاني الغيوب فتنطق عن أسرار الخلق نطق مشاهدة لا نطق ظن وحسبان"[180].

وقال الدَّارَانِيُّ[181] : "الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب وهى من مقامات الإيمان"[182].

وكان الجنيد[183]: "يوماً يتكلم مع الناس، فوقف عليه شاب نصراني متنكراً فقال أيها الشيخ ما معنى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : «اتَّقوا فِراسةَ المؤمنِ، فإنَّه يَنظرُ بنورِ اللهِ» فاطرق الجنيد، ثم رفع رأسه إليه وقال: اسلم فقد حان وقت إسلامك. فأسلم الغلام[184].

وقال ابن مسعود [185]- رضي الله عنه - : أفرس الناس ثلاثة: العزيز في يوسف حيث قال: (أكرمي مثواه عسى إن ينفعنا أو نتخذه ولداً)، وابنة شعيب حين قالت لأبيها في موسى(استأجره)،

---

[176] ـ الصحاح،958/3، واللسان،6/ 160.

[177] ـ معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب ـ القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2004 م، 221.

[178] ـ أبو سعيد الخراز واسمه أحمد بن عيسى،وهو من أهل بغداد ، وهو من أئمة القوم وجلة مشايخهم. قيل إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء مات سنة تسع وسبعين ومائتين،ينظر ترجمته: طبقات الصوفية،183.

[179] ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م، 2/ 454.

[180] ـ مدارج السالكين، 2/ 454.

[181] ـ هو أبو أيوب الداراني القاضي بدمشق. ثقة مات سنة ست وثلاثين ومائة) . ينظر ترجمته : تقريب التهذيب 133 .

[182] ـ مدارج السالكين، 2/ 454.

[183] ـ الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم(ت 297 هـ): صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. أصل أبيه من نهاوند، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير.وعرف الجنيد بالخزاز لأنه كان يعمل الخز. له (رسائل)، (دواء الأرواح).ينظر ترجمته: وفيات الأعيان 1/ 117،وصفة الصفوة 2: 235.

[184] ـ مدارج السالكين، 2/ 454.

[185] ـ عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن(ت 32 هـ): صحابي. من أكابرهم، فضلاً وعقلاً، وقرباً من رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلم ـ وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الأمين، وصاحب سره. له(848)حديثاً. ينظر ترجمته: غاية النهاية 1/ 458، وصفة الصفوة 1: 154.

وأبو بكر الصديق في عمر بن الخطاب- رضي الله عنهما - حيث استخلفه وفى رواية أخرى: وامرأة فرعون حين قالت (قرة عين لي ولك ، لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا)[186].

قال الزركشى : رأيت الشيخ محى الدين النووى وهو ابن عشر سنين بنوى والصبيان يكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم ويبكى لاكراههم ويقرأ القرآن فى تلك الحال فوقع فى قلبى حبه وجعله أبوه فى دكان فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن؟1

قال : فأتيت الذى يقرئه القرآن توصية به ، وقلت له: هذا الصبى سيكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم، وينتفع الناس به ، فقال منجم أنت؟ !

قال عمرو بن نجيد: كان شاه الكرمانى حاد الفراسة لا يخطىء ويقول : من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بالمراقبة وظاهره باتباع السنة وتعود أكل الحلال : لم تخطىء فراسته.

وقال ابوحفص النيسابورى : ليس لأحد أن يدعى الفراسة ، ولكن يتقى الفراسة من الغير لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)

ولماكانت العين هى الرسول الذى يسبر الواقع فلذلك قيل إن العيون مغاريف الكلام فالعين هى مرآة القلب وعنوان مافيه .

ماورد عن الفراسة فى الكتاب والسنة

قال تعالى: (إن فى ذلك لآيات للمتوسمين) سورة الحجر الاية 75

قال مقاتل : للمتفكرين وقال مجاهد بن جبر المكى التابعى الجليل : للمتفرسين .

وقال أبوعبيدة : للمتبصرين ولا تناقض بين هذه الأقوال فإن الناظر متى نظر فى اثآر ديار المكذبين ومنازلهم وما آل إليه أمرهم : أورثه فراسة وعبرة ونظرة .

فالمتوسم : تفعل من الوسم وهى العلامة التى يستدل بها على مطلوب غيرها. يقال توسمت فيه الخير

إذا رأيت ميسم ذلك فيه ، ومنه قول ابن رواحة للنبى صلى الله عليه وسلم :

إنى توسمت فيك الخير أعرفه والله يعلم أنى ثابت البصر

دخل رجل على عثمان بن عفان رضى الله عنه، فقال له عثمان ((يدخل على أحدكم والزنا فى عينيه . فقال : أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا ولكن فراسة المؤمن صادقة))

---

[186] ـ الطرق الحكمية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، مكتبة دار البيان،الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، 29،ومدارج السالكين، 2/ 454.

وفى فراسة سعد بن أبى وقاص يقول عامر بن سعد بن أبى وقاص : إن أخاه عمر انطلق إلى سعد فى غنم له خارجا من المدينة فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب !! فقال : يا أبت أرضيت أن تكون أعرابيا فى غنمك والناس يتنازعون الملك فى المدينة ؟ فضرب سعد صدر عمر وقال : أسكت أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله عز وجل يحب العبد التقى الغنى الخفى.

وقد صدق سعد فى فراسته فى ابنه عمر إذ استعاذ الله من شره ، فقد ابتلى عمر بن سعد باكبرفتنة فاستعمله عبيد الله بن زياد على الرى وهمدان وكان على رأس الجيش الذى قتل شهيد كربلاء الحسين بن على رضى الله عنه .

العيون والجمال بين اللون والانفعال:

والحق لقد وجدت أن العين مخلوق يكاد يكون كامل التكوين، فقد ركبه الخالق العظيم في جسد الإنسان ليكون شاهداً... له أو شاهداً عليه، فهو آية مبصرة ودليل، ومرشد وموجه ليعمر الإنسان من خلاله الأرض.

إن العيون جوهرة نفيسة ذات إمكانيات هائلة جداً في التميز والتواصل، وهى وسيلة صادقة في التعبير الوجداني أو هي التي تعكس تقلبات الكيان البشرى من حالة إلى أخرى فالعين تغضب وتحزن وتفرح وتخون وتخاف وتتردد وتمكر تضحك وتبكى وتشكى وتحكى ويظهر عليها تعبير الشجاعة والجبن والاستبشار والحقد والكراهية و الألم والكذب والصدق والحب والسعادة والاطمئنان... أنها الكائن المتكامل العاطفة الناطقة لإنسان مصغر مدمج في الكيان البشرى ، ليعبر بهما الإنسان عن مكنون جوانحه.

فالعيون مفوضة عن صاحبها بتمثيله والتحدث بلسانه تفويضا شاملا عبر انفعاله الصامت.

يقول تعالى : في سورة غافر{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}(غافر:19)، وهو دليل على أن هناك وضعاً خاصاً يتشكل على خارطة العين حتى تنعت بهذه الصفة التي قد تظهر من خلال تعبير أشبه بالومضة الخفيفة تعترف العين خلالها بما ارتكبه صاحبها من عمل أخفاه عن العيون، ولكن لا يمكن إن يخفى ذلك عن علم الله - سبحانه وتعالى - الذي لا يخفى عليه ما تخفيه الصدور فكيف بإشارات العين بتلك الومضة الخاطفة... ويقول - جل شأنه - {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ} (الرحمن:41)، فالسيماء تظهر في سمت الوجه الذي تمثل انفعاله العين بما تظهره من شد وجذب فينعكس عموماً ذلك على السمة بعض من المحللين

النفسيين حاولوا فك رموز ألوان العيون وإشكالها ثم قارنوا خلال ذلك التباين الذي يميز كل عين بشرية عن الأخرى فوجدوا مثلاً:

العيون السوداء من صفاتها الجرأة، حب الذات، الغموض، عمق التفكير، شدة الحساسية، قوة التأثير، المزاج الفني، البرود .....العيون الرمادية ذات طباع عنيفة، العيون الخضراء تتميز بقوة الإرادة، الخبث، برودة العاطفة، صلابة الرأي، العناد، حب العمل العيون البنية:الرحمة، العطف، الخجل، الجاذبية، حب العمل.

العيون العسلية الهدوء، التأني، التفكير قبل العاطفة، حب الظهور، ضبط العواطف، الكتمان العيون الواسعة العصبية، الاندفاع وراء العاطفة العيون الضيقة الذكاء، الحدة، الدقة، قوة الملاحظة وتحكيم العقل العيون المستديرة قلة التفكير، الفضول، كثرة الحركة، حب الناس العيون الغائرة التفحص والتدقيق، البحث عن التفاصيل، حب الحياة، التفاؤل العيون الجاحظة البعد عن التفاصيل، حب الظهور، الفصاحة، الميل للتشاؤم توصف أجمل العيون .. بتلك التي تشبه إلي حد ما عيون المها، ويكمن سر وروعة جمال العيون في اتساع الحدقة، وتأثير ذلك علي عيني الشريك الآخر.

وقد أكدت دراسات علمية متعددة أن المحبين عادة ينظرون إلي عيون بعضهم أثناء الحديث، ولا ينظرون إلي أنوفهم أو شفاههم أو ألسنتهم.

إن النظرات المتصلة لثوان قليلة، يمكن أن تحدث – رغم الصمت – ما تعجز عنه مجلدات كثيرة، حيث يمكن للزوجة أن تقرأ في تلك النظرات الكثير من كلمات الحب، والحنان، والعطف، يمكن أن تقرأ في تلك النظرات أنت جميلة وأنا معجب بك – أتكامل معك وبك .. دائماً مفتون بما تقولين، ويمكن للزوج أن يسمع نظراتها الحنون.

كما أن هناك ما هو أكثر من تلك المشاعر والأحاسيس فالعيون الدافئة، تحقق انفجارات، وثورات من براكين الحب والحنان لا يمكن لأي حواس أخري أن تحققها.

احور المقلة معسول اللمى جال فى النفس مجال النفس

سدد السهم فاصمى إذ رمى بفؤادى نبلة المفتـرس

لم يترك الشعراء ألوان العيون وما تحتويه من جمال بدون أن يكون لهم فيها من صدق الانفعال وهنا بعض النماذج:

ماقيل فى العين الحوراء : من أكثر العيون التى كانت تستفز دهشة الشعراء فقد كانت الأقرب إليهم من حيث البيئة العربية التى كانت تذخر بهذا اللون وكما يقال الشاعر ابن بيئته.

العين الزّرقاء : مع اتساع الدولة الاسلامية وتداخل الثقافات واختلاط السحنات العربية بالوان جديدة من البشر تمردت الكلمة التى كانت محصورة فى البيئة التى لم يكن يعرف الشعراء فيها أجمل من العيون الحوراء

فإذا كان التّغنّي بالعين السّوداء كثر في الشعر القديم فإنّه ـ مع خروج العرب من صحرائهم ـ بدأت الألوان الفاتحة في العين تحتلُّ مكانة فى شعرهم حيث أعجبوا بتلك الألوان، فلم تعد العين السّوداء وحدها هى المتغنى بها وإن بقيت فتنة النّاظرين ـ تتربّع على عرش قلوب الشّعراء، لكن راحت تستهويهم العيون الزّرقاء، فأخذت بمجامع قلوبهم، قال أحد الشعراء

سحرتني الزّرقاء من مارون...إنّما السّحر عند زرق العيون

وفى العيون الزرقاء يصدح البدوي مترنما :

في مقلتيك سماواتٌ يهدهدها...من أشقر النور أصفاه وأحلاه

وهناك صفات لها رونقها وعمق تاثيرها فى قلوب الشعراء منها سعة الحدقة والفتور فى العيون

إن الإنسان لا يستطيع إراديأ التحكم في حركة حدقة عينيه، ولكنه يمكن إثارتهما لأجل الاتساع، فمن المعروف أن الإنسان عندما يري مناظر جميلة ومريحة ولطيفة كالمروج الخضراء والزهور، ووجه الحبيب ،تتسع حدقتا عينيه بشكل لا إرادي ".

وليس للون العين أثر في تحقيق هذه السعادة أو النشوة ، فالعينان الزرقاوان أو الخضراوان أو العسليتان أو السوداوان تتماثل جميعها في تحقيق الغاية في الوصول إلي العصب البصري وتفجير مشاعر الحب والمودة .. وعندما يكون تفكير كل منهما دافئاً ورائعاً نحو الأخر فإن نظرات العينين لا تستطيعان إخفاء ذلك.

قال إبراهيم النخعى لسليمان الأعمش، وأراد أن يماشيه:" إن الناس إذا رأونا معا قالوا: اعور وأعمش، قال ما عليك إن يأثموا ونؤجر، قال ما عليك إن يسلموا ونسلم"[187].

قال: ابن عباس، بعدما كف بصره:

إنْ يأخذِ اللهُ من عينيَّ نورهما ففي لساني وسمعي منهما نورُ

قلبي ذكيٌّ وعقلي غيرُ ذي عِوجٍ ... وفي فمي صارمٌ كالسيفِ مأثورُ

انشد أبو النجم[188] لهشام بن عبد الملك[189] أرجوزته التي أولها:

---

[187] ـ وفيات الأعيان ، 2/ 401.

الحمد لله الوهوب المجزلِ

فلم يزل يصفق بيديه استحساناً لها، حتى إذا بلغ قوله في صفة الشمس:

فهي في الأفق كعين الأحول صغواء كادت ولما تفعل

غضب هشام وكان أحول، وأمر بوجء [190]رقبته وإخراجه[191].

وقال آخر:

يقولون نصرانية أم خالد فقلت دعوها كل نفس ودينــها

فان تك نصرانية أم خالد فقد صورت في صورة لا تشينها

احبك إن قالو بعينك زرقة كذاك عتاق الطير زرقا عيونها[192]

من صفات العيون التى تجد استحسانا الفتور فى العيون، وهو ما يرمز إلى انكسار النظر وذبوله في أصل الخلقة تبدو فيه العين كأنها ناعسة.. فالجمال في هذا النوع من العيون يكمن في غض البصر وسحر اللحاظ، ، وهو في عين المرأة إسبال لطيف بجفنيها يعني نوعاً من الدلال والغنج يضفي على عينيها جمالاً ورقة وأنوثة. هذا الفتور يستحسنه أبو نواس :

لولا فتور في كلامك يشتهي وترفقي بك بعد واستملاحي

وتكسر في مقلتيك هو الذي عطف الفؤاد عليك بعد جماح

ويقول ابن المعتز

وسنان قد طرق النعاس جفونه فحكى بمقلته ذبول النرجس

ويقول أيضا عن الفتور:

قد صاد قلبي قمر يسحر منه النظر

---

[188] ـ الفضل بن قدامة العجليّ، أبو النجم، من بني بكر بن وائل(ت 130 هـ): من أكابر الرجّاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر. نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام.قال أبو عَمْرو بن العلاء: كان ينزل سواد الكوفة، وهو أبلغ من العجاج في النعت.ينظر ترجمته: معاهد التنصيص 1/ 18 ، والأغاني طبعة الدار 10/ 150، وسمط اللآلي 328.

[189] ـ هشام بن عبد الملك بن مروان(71 - 125 هـ): من ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد في دمشق. وكان حسن السياسة، يقظاً في أمره، يباشر الأعمال بنفسه. من كلامه: "ما بقي عليَّ من لذات الدنيا إلا أخ أرفع مؤنة التحفظ بيني وبينه ".ينظر ترجمته: الكامل لابن الأثير 5/ 96 ، والطبري 8/ 283.

[190] ـ وجء:: طعن أو رمي أو وجء بحديدة.تاج العروس،12/ 199.

[191] ـ العقد الفريد: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن عبد ربه الأندلسي (ت: 328هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1404 هـ، 1/ 269.

[192] ـ عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، دار الكتب العلمية –بيروت، 1418 هـ، 4/ 59.

ضعيفة أجفانه والقلب منه حجر

كأنما الحاظه من فعله تعتذر

ويقول :

فيجرح أحشائى بعين مريضة كما لان متن السيف والحد قاطع

ويشير أحمد شوقي إلى ما فعلته العيون الفاترات

أداري العيون الفاترات السواجيا وأشكو إليها كيد إنسانها ليا

قتلن ومنين القتيل بالسن من السحر يبدلن المنايا أمانيا

وكلمن بالألحاظ مرض كليلة فكانت صحاحاً في القلوب مواضيا

العين الحاسدة (العائن):

العيون وما فيها من انعكاس للجمال....والبهاء الإنساني الرائع.... فسبحان الله الذي أتقن كل شيء... فقد تكون هذه العين الجوهرة السنية مصدراً.... للأذي والمرض بل قد تقتل العين الحاسدة أو عين الغبطة وعين الغبطة هي العين التي لا تنظر بحسد، وإنما تتمنى إن لها مثل ما عند فلان من النعمة .....وكلها قد تدمر فهي كالقنبلة قاتلة من غير توقيت لدى بعض من النفوس شديدة في أذاها وتدميرها .....حفظنا الله وإياكم من شر عين كل حاسد ...ومن شر كل ذي شر....

ويقدم ابنُ المعتز الدليل على شدة ما يعانيه الحسود. فيقول:

اصبر على كيد الحسو د فإن صبرك قاتله

فالنــارُ تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

ويرى أبو العلاء المعري أن الحسدَ طبيعة في بعض النفوس البشرية ، لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات، فيقول:

ومن عاش بين الناس لم يخل من أذى بما قال واشٍ، أو تكلم حاسـد

وربما كثير من أهل الطب الحديث ومن وجهة نظر البعض منهم من ينظروا إلى المصاب من ناحية علمية وقد لا يجعلوا للعين واعني العين الحاسدة المؤثرة ... تأثيراً سلبياً أو هي سبب في علة مريض ما ....أو لها يد في إصابة مريض ما بل يرجعون الأمر كله للأمراض العضوية البحته فقط... وهذا الأمر غير صحيح، فكثير من الأمراض العضوية قد يكون السبب الأول والمباشر هو الإصابة بالعين كما ثبت ذلك من حديث أم سلمه[193] - رضي الله عنها- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال : «اسْتَرْقُوا لَهَا فَإِنَّ بِهَا نَظْرَةً»[194]، وكذلك قول أسماء- رضي الله عنها - لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أولاد جعفر[195] - رضي الله عنه - «مَا لِأَجْسَامِهِمْ ضَارِعَةً» فَقَالَتْ: إِنَّ الْعَيْنَ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ أَفَأَرْقِيهِمْ؟ قَالَ: «بِمَاذَا؟» فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ كَلَامًا لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، فَقَالَ: «ارْقِيهِمْ»[196].

ولا يعنى الاهتمام بالرقية من العين إهمال الجانب العضوي فالقضية متداخلة فان مثل هذه الأمور تدخل في نطاق الجوانب الغيبية التي قد لا يتمكن إدراكها المعالج بكل تفاصيلها فلا يستطيع الجزم إن كل حالة هي من العين فقط فلا بد من الاهتمام بالجانب الطبي مع متابعة الرقية الشرعية.

ويقال: إن هناك عين مهلكة قاتلة وهناك أيضاً عين قد يكون تأثيرها متلف أو معطل بسبب الآثار التي تتركها، وقد يحدث فجأة بدون إي إعراض جانبية أو مقدمات مرضية... ومثلما تصيب الإنسان فان العين تتعدى ذلك فقد تصيب الحيوان والنبات والجماد يقول الأصمعي[197]، قال:

---

193 ـ أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية ثم الأشهلية(000 - نحو 30 هـ): من أخطب نساء العرب ومن ذوات الشجاعة والإقدام. كان يقال لها: خطيبة النساء. وحضرت وقعة اليرموك (سنة 13 هـ فكانت تسقي الظماء وتضمد جراح الجرحى. وتوفيت بعد ذلك بزمن طويل. ولها في البخاري حديثان.ينظر ترجمته: الإصابة 8/ 12 ، ولسان الميزان 6/ 854.

194 ـ المعجم الكبير للطبراني ،(23/ 344)، والسنن الكبرى للبيهقي،(584/9)

195 ـ جعفر بن أبي طالِب (عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم(ت 8 هـ): صحابي هاشمي. من شجعانهم. يقال له (جعفر الطيار) وهو أخو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وكان أسن من علي بعشر سنين.,وهو من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل أن يدخل رسول الله صلّى الله عليه وسلم دار الأرقم ويدعو فيها، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، حضر خيبر ووقعة مؤتة.ينظر ترجمته: الإصابة 237/1, وصفة الصفوة 1/ 205.

196 ـ المعجم الكبير للطبراني،142/24.

197 ـ عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمغ الباهلي، أبو سعيد الأصمعي(122 - 216 هـ): راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمغ. ومولده ووفاته في البصرة. كان كثير التطواف في البوادي. وكان الرشيد يسميه " شيطان الشعر ". وتصانيفه كثيرة، منها " الإبل " و " الأضداد " و " شرح ديوان ذي الرمة ".ينظر ترجمته: جمهرة الأنساب 234.

"رأيت رجلاً عيوناً سمع بقرة تحلب فأعجبه صوت شخبها ، فقال : آيتهن هذه؟ قالوا الفلانية، لبقرة أخرى يورون عنها فهلكتا جميعاً.... الموري بها والموري عنها"[198].

قال الله تعالى : { وإِن يَكَادُ الَّذينَ كَفَرُوا لَيُزلِقُونَكَ بِأبصَارِهِم} (القلم: 51)، قال ابن عباس: بعض الأحاديث الواردة في العين تصيب نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - : عَنْ عَائِشَةَ[199]، زَوْجِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهَا قَالَتْ كَانَ إِذَا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم – رَقَاهُ جِبْرِيلُ قَالَ: « بِسْمِ اللَّهِ يُبْرِيكَ وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ »[200].

وعَنْ أَبِي نَضْرَةَ[201] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ[202] أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ:« بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ»[203] .

وعند ابن ماجة[204] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[205] قَالَ جَاءَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - يَعُودُنِي فَقَالَ: «أَلِي أَلا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةٍ جَاءَنِي بها جِبْرَائِيلُ قُلْتُ بِأَبِي وَأُمِّي بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ وَاللَّهُ يَشْفِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فِيكَ (مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) ثَلاثَ مَرَّاتٍ»[206].

---

198 ـ

199 ـ عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، من قريش(9 ق هـ - 58 هـ): أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب. كانت تكنى بأم عبد الله. تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية بعد الهجرة، فكانت أحب نسائه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه. روي عنها 2210 أحاديث.وتوفيت بالمدينة.ينظر ترجمتها: الإصابة، ، ت 701 ، وطبقات ابن سعد 8/ 39.

200 ـ أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب: السلام، باب: الطب والمرض ،(1718/4،ح/ 2185).

201 ـ واسمه المنذر بن مالك بن قطعة من العوقة. وهو بطن من عبد القيس. وكان ثقة كثير الحديث.وتوفي أبو نضرة في ولاية عمر بن هبيرة.ينظر ترجمته:الطبقات الكبرى لابن سعد،7/ 156.

202 ـ سعد بن مالك بن سنان الخدريّ الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد(10 ق هـ - 74 هـ): صحابي، كان من ملازمي النبي - صلى الله عليه وسلّم - وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة، وله (1170) حديثاً. توفي في المدينة.ينظر ترجمته: تهذيب التهذيب 3/ 479 ، وصفة الصفوة 1/ 299 .

203 ـ أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب: السلام، باب: الطب والمرض ،(1718/4،ح/ 2185).

204 ـ محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجة(209 - 273 هـ): أحد الأئمة في علم الحديث. من أهل قزوين. رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري، في طلب الحديث. وصنف كتابه (سنن ابن ماجة) مجلدان، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة. وله (تفسير القرآن) وكتاب في (تاريخ قزوين).ينظر ترجمته: وفيات الأعيان 1/ 484، وتهذيب التهذيب 9/ 530.

205 ـ عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب ب أبي هريرة(21 ق هـ - 59 هـ): صحابي، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له. نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله - صلّى الله عليه وسلم - بخيبر، فأسلم سنة 7 هـ، ولزم صحبة النبي، فروى عنه (5374) حديثاً.ينظر ترجمته: تهذيب الأسماء واللغات 2/ 270، والجواهر المضية 2/ 418.

206 ـ أخرجه ابن ماجه في سننه،(1164/2،ح/ 3524)، والنسائي في السن الكبرى،(9/ 369،ح/ 10775) قال الألباني: ضعيف.

وعند ابن ماجة عَنْ عُمَيْرٍ[207] أَنَّهُ سَمِعَ جُنَادَةَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ[208]، قَالَ سَمِعْتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ[209] يَقُولُ: أَتَى جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلام النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ يُوعَكُ فَقَالَ :«بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ حَسَدِ حَاسِدٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ»[210].

وعند أحمد[211] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ كُنْتُ أَرْقِي رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنَ الْعَيْنِ فَأَضَعُ يَدِي عَلَى صَدْرِهِ وَأَقُولُ :« امْسَحِ البأس رَبَّ النَّاسِ بِيَدِكَ الشِّفَاءُ لا كَاشِفَ لَهُ ألا أَنْتَ ».[212]

وفي رواية عند مالك[213] في الموطأ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي إمامة[214] بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ[215] أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ يَقُولُ اغْتَسَلَ أَبِي سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ بِالْخَرَّارِ فَنَزَعَ جُبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ[216] يَنْظُرُ قَالَ وَكَانَ سَهْلٌ رَجُلا أَبْيَضَ حَسَنَ الْجِلْدِ قَالَ فَقَالَ لَهُ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلا جِلْدَ عَذْرَاءَ قَالَ فَوُعِكَ سَهْلٌ مَكَانَهُ وَاشْتَدَّ وَعْكُهُ فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأُخْبِرَ أَنَّ سَهْلا وُعِكَ

---

[207] ـ عمير بن وهب بن خلف الجمحيّ، أبو أمية(ت بعد 22 هـ): صحابي. أبطأ في قبول الإسلام، وشهد وقعة بدر مع المشركين فأسر المسلمون ابناً له، وشهد مع المسلمين أحداً وما بعده. ينظر ترجمته: الإصابة: ت 6060، وطبقات ابن سعد 4/ 146.

[208] ـ جنادة بن أبي أمية مالك الأردي الزهراني(ت 80 هـ): قائد بحري، صحابي.من كبار الغزاة في العصر الأموي. وهو ممن شهد فتح مصر. ودخل جزيرة رودس فاتحاً سنة 53 هـ، وتوفي بالشام. ينظر ترجمته: الاستيعاب1/ 242، وتهذيب ابن عساكر 3/ 408.

[209] ـ عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجى، أبو الوليد(38 ق هـ - 34 هـ): صحابي، من الموصوفين بالورع. شهد العقبة، وكان أحد النقباء، وبدراً وسائر المشاهد. ثم حضر فتح مصر. وهو أول من ولي القضاء بفلسطين. ومات بالرملة أو ببيت المقدس. روى(181)حديثاً.ينظر ترجمته: تهذيب التهذيب 5/ 111، والإصابة 4488.

[210] ـ أخرجه أحمد (323/5 ،ح23140)،ومسند ابن أبي شيبة،(46/5،ح/23573) ، وابن ماجه،(1165/2،ح/3527)، قال الألباني: حسن.

[211] ـ أحمد محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيبانيّ الوائلي(164 - 241 هـ): إمام المذهب الحنبليّ، وأحد الأئمة الأربعة. أصله من مرو، وولد ببغداد. وسافر في أسفاراً كبيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة وغيرها. وصنّف (المسند). وله كتب في (التاريخ) و (الناسخ والمنسوخ) و وغيره.ينظر ترجمته: صفة الصفوة 2/ 190 ، والبداية والنهاية 10: 325 – 343.

[212] ـ أخرجه البخاري في صحيحه.كتاب: المرضى ،باب: دعاء العائد للمريض (7/ 121، ح/ 5675).

[213] ـ مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله(93 - 179 هـ): إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة. صنف " الموطأ ". وله رسالة في " الوعظ " وكتاب في " المسائل ". ينظر ترجمته: الديباج المذهب 17 – 30، والوفيات 1/ 439، وتهذيب التهذيب 10/ 50.

[214] ـ محمد بن أبي إمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي من أهل المدينة أخو سهل بن أبي إمامة يروي عن أبيه والحجازيين روى عنه مالك بن أنس.ينظر ترجمته: الثقات لابن حبان،368/7.

[215] ـ سهل بن حنيف بن وهب الأنصاري الأوسي، أبو سعيد(ت 38 هـ): صحابي، من السابقين. شهد بدراً، وثبت يوم أحد. وشهد المشاهد كلها. وآخى النبي صلّى الله عليه وسلم بينه وبين علي بن أبي طالب. واستخلفه عليّ على البصرة بعد وقعة الجمل. ثم شهد معه صفين. وتوفي بالكوفة، فصلى عليه عليّ. له (40)حديثاً.ينظر ترجمته: الإصابة، ت 3520، وذيل المذيل 14.

[216] ـ عامر بن ربيعة بن كعب العنزي(000 - 33 هـ): صحابي، من الولاة. قديم الإسلام، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم واستخلفه عثمان على المدينة، لما حج. له 22 حديثاً. أدرك الثورة على عثمان واعتزلها ومات بعد مقتل عثمان بأيام .ينظر ترجمته: الإصابة، ت 4374، وحلية الأولياء 1/ 178.

وَأَنَّهُ غَيْرُ رَائِحٍ مَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَخْبَرَهُ سَهْلٌ بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ عَامِرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « عَلاَمَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ألا بَرَّكْتَ إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ تَوَضَّأْ لَهُ فَتَوَضَّأَ لَهُ عَامِرٌ »[217] ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ .

أن العين تصرع الإنسان بل وتقتله.

أن من اعراض العين الحرارة والبرودة ولزوم الوجع.

السؤال عمن يتهم بأنه أعان المعيون وطلب الغسل منه.

اغتسال العائن للمعين من أنفع علاجات العين.

الحمى من أعراض العين أحياناً.

الرقية من أنفع العلاجات للعين.

ضرب الراقي على صدر المعيون وقت الرقية فيها منفعة .

التبريك يبطل مفعول العين ويمنع الإصابة بها .

وصفة التبريك أن يقول: " تبارك الله أحسن الخالقين، اللهم بارك فيه "[218]، أو يقول: "اللهم بارك عليه"[219]، ومما يدفع به الإصابة بالعين " ما شاء الله لا قوة إلا بالله "[220]. انظر الزاد الجزء الثالث وعند ابن السني في عمل اليوم والليلة عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره» [221].

العين مأخوذة من عان يعين[222] إذا أصابه بعينه وأصلها من إعجاب العائن بالشيء ثم تتبعه

كيفية نفسه الخبيثة ثم تستعين على تنفيذ سمها بنظرها إلى المعين، وقد أمر الله نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم - بالاستعاذة من الحاسد فقال تعالى: { وَمِن شَرّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } (الفلق:5)[223]،

---

[217] ـ الموطأ، بَابُ الْوُضُوءِ مِنَ الْعَيْنِ(938/2)، صحيح ابن حبان(469/12)،وقال الألباني:صحيح، السليلة الصحيحة (2572)..

[218] ـ زهرة المجالس ومنتخب النفائس: عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري (ت: 894هـ) ، الكاستلية – مصر، 1283هـ،94.

[219] ـ التحصين من كيد الشياطين دراسة تأصيليَّة مستفيضة لقضايا: (العين، والحسد، والسحر، والمسّ وغيرها، مع بيان المشروع من التحصين، والرُّقي، وأصولِ التداوي)، : د خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي،380.

[220] ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بدر الدين العيني (ت: 855هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت 10 / 189، وروضة الطالبين وعمدة المفتين: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان،الطبعة: الثالثة، 1412هـ / 1991م، 9 / 348.

[221] ـ عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد: أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح، الدِّيْنَوَريُّ، المعروف بـ «ابن السُّنِّي» (ت: 364هـ)،تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن - جدة / بيروت، 171.

[222] ـ معجم لغة الفقهاء، 326.

فكل عائن حاسد وليس كل حاسد عائناً، فلما كان الحاسد أعم من العائن كانت الاستعاذة منه استعاذة من العائن، وهي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة وتخطئه تارة فإن صادفته مكشوفاً لا وقاية عليه أثرت فيه وإن صادفته حذراً شاكي السلاح لا منفذ فيه للسهام لم تؤثر فيه وربما ردت السهام على صاحبها[224].

وقد ثبتت الأحاديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم- في الإصابة بالعين فمن ذلك ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يأمرني أن استرقي من العين . وأخرج مسلم[225] وأحمد والترمذي[226] وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال : « العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا »[227]، وأخرج الإمام أحمد والترمذي وصححه عن أسماء بنت عميس[228] أنها قالت: يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين افتسترقي لهم ؟ قال : « نعم فلو كان شيء سابق القدر لسبقته العين »[229]، وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغسل منه المعين»[230].

---

[223] ـ بدائع الفوائد،2/ 229،و زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون , 1415هـ /1994م، 4/ 154.

[224] ـ زاد المعاد في هدي خير العباد4/ 154.

[225] ـ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوريّ، أبو الحسين(204 - 261 هـ): حافظ، من أئمة المحدثين. ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور. أشهر كتبه (صحيح مسلم).ينظر ترجمته: تذكرة الحفاظ 2/ 150، وتهذيب 10: 126.

[226] ـ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، أبو عيسى(209 - 279 هـ): من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ تتلمذ للبخاريّ، وشاركه في بعض شيوخه. وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره. وكان يضرب به المثل في الحفظ.مات بترمذ. من تصانيفه (الجامع الكبير) باسم (صحيح الترمذي).ينظر ترجمته: أنساب السمعاني 95 ، وتهذيب 9/ 387.

[227] ـ أخرجه الحميدي(330) ، وابن أبي شيبة 56/8، والترمذي (2059) ، وابن ماجه(3510).

[228] ـ أسماء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث الخثعميّ(ت 40 هـ): صحابية، كان لها شأن. أسلمت قبل دخول النبي - صلى الله عليه وسلم - دار الأرقم بمكة، وهاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، ثم قتل عنها جعفر شهيداً في وقعة مؤتة (سنة 8 هـ) فتزوجها أبو بكر الصديق ، وتوفي عنها أبو بكر علي بن أبي طالب. وماتت بعد عليّ. وصفها أبو نعيم بمهاجرة الهجرتين ومصلية القبلتين.ينظر ترجمته: طبقات ابن سعد 8/ 205، والدر المنثور 35.

[229] ـ أنظر تخريج الحديث السابق.

[230] ـ أخرجه أبو داود في سننه. أبواب الطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: مَا جَاءَ فِي الْعَيْنِ (9/4، ح/ 3880)، والبيهقي للسن الصغير.كتاب: ، باب: (4/ 76،ح/ 3103)، وقال الألباني: صحيح الإسناد.

الفصل الخامس

العيون وحى إبداع الشعراء

إذا قلنا إن الشعر هو انفعال وجدان الشاعر بإحساس ما يستشفه ، ثم يرسم ذلك الانفعال عبر تدفق المعاني التى تتلاقح عبر خياله قصيدة أو أبيات من الشعر، ويسمح لتلك الأشعار أن تشكل الصور المختلفة ، التي تحكى لنا عما دار في خلجات نفسه وقد يجيد الوصف ويبدع.

ظلت العيون عند معظم الشعراء مصدر الهام وتفاعل وانفعال والشعر العربي حاضره وماضيه لم يخرج من جاذبية هذا المؤثر القوى، ولم يستطيع شاعر مجيد أن يتخطى العيون كمصدر لهذا الإلهام ، أو كأداة لانفعاله مع الإحداث المبكية كالرثاء أو المفرحة كالوصف بكل أشكاله وصوره، و بهذا المفهوم تعد العيون أرض خصبة لاسترسال الخيال واستفزاز الكوامن الحسية في الشعراء وهى ينبوع يستمد منه كثير من الصور الجمالية وهى حقيقة مهبط وحى للإبداع... فقد كان لها النصيب الأوفى والأوفر والقدح المعلى من التغني ونالت ما لم تناله أي حاسة من

الحواس الخمس في الإنسان.ومن أقوال الشعراء في ذلك إن إبراهيم بن المهدي[231] سمع جارية تغنى فقال:

أليس عجباً أن بيتناً يضمني وإياك لا تخلوا ولا تــتكلم

سوى أعين يشكو الهوى بجفونها وتقطيع أنفاس على النار تضـرم

إشارة أفـواه وغـمر حواجب وتكسير أجفان وكف يسلـم[232]

أما ابن حزم الأندلسي[233] يرى إن جوهر العين أرفع الحواجب، ويقول ابن حزم :"إن العين تنوب عن الرسول ويدرك بها المراد"[234]. ويقول:" إن الحواس الأربعة أبواب إلى القلب ومنافذ نحو النفس الذوق واللمس فهما لا يدركان إلا بالمجاورة والسمع والشم لا يدركان الأمن قريب لذا فالعين ابلغهما دلالة وأقواهما عملاً"[235]، فيقول:

سأبعد عن دواعي الحب أنى

رأيت الحزم في صفة الرشيد

رأيت الحب أوله التصدي

بعينيك في أزاهير الخـدود[236]

رغم أن للإنسان حواس أخرى في تلمس معاني الحياة التي يحياها كل إنسان، لكن نجد العين هي بمثابة الأمير والقائد لبقية الحواس الخمس، وهى تعكس شفافية الروح البشرية وانفعالها وتفاعلها وهى تعبر عما يدور في باطن النفس من أحاسيس ،بل هي البوح الأول بمضمون المشاعر ولا يمكن أن يمر الحب مرور الكرام بدون أن يكون للعين توهجها واستشرافها بمعنى

---

231 ـ إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، (162 - 224 هـ): الأمير، أخو هارون الرشيد. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين.وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوماً.ينظر ترجمته: الأغاني، طبعة دار الكتب 10/ 69 و 94 ، ولسان الميزان 1/ 98.

232 ـ العقد الفريد،7/ 233.

233 ـ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد(384 - 456 هـ): عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. ولد بقرطبة.وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيداً عن المصانعة. أشهر مصنفاته " الفصل في الملل والأهواء والنحل " وله " المحلى " في ، و " جمهرة الأنساب " و " الناسخ والمنسوخ ".ينظر ترجمته:نفح الطيب 1/ 364 ، وآداب اللغة 3/ 96.

234 ـ رسائل ابن حزم الأندلسي: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: 456هـ)، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير- بيروت - لبنان - ت 1/807900. برقياً - موكيالي - بيروت - ص.ب: 546/11 بيروت،:الطبعة: 1، 1980م، ، 1/ 137.

235 ـ رسائل ابن حزم الأندلسي،1/ 137.

236 ـ المرجع السابق،1/ 125.

الحب، وما فيه من لواعج تكاد تنطق أحياناً بفصاحة لسان العيون الصامت المتكلم ومن هنا يتدفق ينبوع الانفعال، وهو يحكى عن ما يجيش بالوجدان مترجماً الإحساس إلى شعر...

وأحياناً تكون العين بما تحتويه من جمال يستنطق الأشعار ويحرك الأفئدة للتكلم بالغزل أوقد تلعب العين دوراً متميزاً في استنطاق زواياها الرائعة وتلعب دور المفردة التي لا غنى للشعراء منها فهي جمال يمنح التعبير روحاً ويزيد المعاني تأججاً ولا يمكن بأي حال إن نغض الطرف عن العين كأداة معبرة عن حزن الشعراء، ولا يمكن إن تمر مرثية من المراثي إلا وتجد العين فيها مستنطقة تعبر عن الحزن الدفين لفراق الأحباب.

الفصل السادس

العيون في شعر العصر الجاهلي

رغم أن مفردة العين تناولها شعراء العصر الجاهلي إلا إن من الملاحظ لم تأتى عميقة التناول أو مشبوبة بالعواطف الجياشة ماعدا في بعض المرثيات فنجد العين في كثير من المواضع الشعرية تأتى تلقائية فمثلا حين يقول الشاعر زهير بن أبى سلمى[237]:

[237] ـ زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مضر(ت 13 ق هـ): حكيم الشعراء في الجاهلية. كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة. له (ديوان).ينظر ترجمته: الأغاني طبعة الدار 10: 288 - 324 105 ، والشعر والشعراء 44.

هاجَ الفُؤادَ مَعارِفُ الرَسمِ قَفرٌ بِذي الهَضَباتِ كَالوَشمِ

تَعتادُهُ عينٌ مُلَمَّعَةٌ تُزجي جَآذِرَها مَعَ الأُدمِ[238]

ولا يعنى ذلك خلو الشعر الجاهلي من العاطفة في تناوله العين ،ولكن نجد أن تأثرهم بطبيعة الحياة التي حولهم والتي هي مصدر أشعارهم وأفكارهم فالعين في التعبير عنها أو حولها لا يخرج من الحياة الطبيعية بدون تكلف، ورغم ذلك نجد بعضهم في مواضع أثرت فيه العيون تأثيراً مباشراً فظهر ذلك في كثير من أشعارهم ،لارتباط حياتهم بحياة الفخر والفروسية وتناول فيها بعض شعرائهم العين تناولاً معنوياً رقيقاً يقول الشاعر طرفة بن العبد[239]:

أَرَّقَ العَينَ خَيالٌ لَم يَقِر طافَ وَالرَكبُ بِصَحراءِ يُسُر

جازَتِ البيدَ إِلى أَرحُلِنا آخِرَ اللَيلِ بِيَعفورٍ خَدِر

ثُمَّ زارَتني وَصَحبي هُجَّعٌ في خَليطٍ بَينَ بُردٍ وَنَمِر

تَخلِسُ الطَرفَ بِعَينَي بَرغَزٍ وَبِخَدَّي رَشَإٍ آدَمَ غـر

وَلَها كَشحا مَهاةٍ مُطفِلٍ تَقتَري بِالرَملِ أَفنانَ الزَهَر[240]

ونجد في شعر الحنين والرثاء لوحات غنية تكاد العين تكون قلب القصيدة النابض فيها يتدفق التعبير الجياش مشبوباً بالمحبة لتظل العين في القصيدة محور تدور حوله المعاني وذلك يمثله قول المهلهل بن ربيعة[241] ، وهو يرثى كليب[242]، يقول الشاعر المهلهل بن ربيعة:

أَهَاجَ قَذَاءَ عَيْنِي الأذكار هُدُوّاً فَالدُّمُوعُ لَهَا انْحِدَارُ

وَصَارَ اللَّيْلُ مُشْتَمِلاً عَلَيْنَا كأنَّ الليلَ ليسَ لهُ نهارُ

وَبِتُّ أُرَاقِبُ الْجَوْزَاءَ حَتَّى تقاربَ منْ أوائلها انحدارُ

أُصَرِّفُ مُقْلَتِي فِي إِثْرِ قَوْمٍ تَبَايَنَتِ الْبِلاَدُ بِهِمْ فَغَارُوا[243]

---

[238] ـ مصادر الشعر الجاهلي: ناصر الدين الأسد، دار المعارف بمصر،الطبعة: الطبعة السابعة 1988م،534.

[239] ـ طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمرو(ت60 ق هـ): شاعر، جاهلي، من الطبقة الأولى. ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد. واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه. قتله المكعبر ابن عشرين عاماً. أشهر شعره معلقته، له (ديوان) صغير. وكان هجاءاً.ينظر ترجمته: شرح شواهد المغني 272 ، والشعر والشعراء 49

[240] ـ ديوان طرفة بن العبد: طَرَفَة بن العَبْد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (المتوفى: 564 م)، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة، 1423 هـ - 2002م، 39.

[241] ـ عديّ بن ربيعة بن مرة بن هبيرة، من بني بجشم، من تغلب، أبو ليلى، المهلهل(ت 100 ق هـ): شاعر، من أبطال العرب في الجاهلية. من أهل نجد. وهو خال امرئ القيس الشاعر. قيل: لقب مهلهلاً، لأنه أول من هلهل نسج الشعر، أي رققه.ينظر ترجمته: الشعر والشعراء 99 ، وجمهرة أشعار العرب 115.

[242] ـ هو كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير، من بني تغلب بن وائل. فنسبه إلى وائل. والعرب تقول «كليب وائل» أيضاً.ينظر ترجمته: جمل من أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت: 279هـ)،تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر – بيروت،الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 199م،20/1.

ويقول أيضاً في كليب وهو يخاطب العين مخاطبة مخلوق اخر يعاتبها ويستحثها على المزيد من البكاء حتى تعرب عن حزنه بفقده كليب، بل يبلغ به ان يطلب منها إن تنزف بدل الدموع دما ، تعبيرا عن حجم الفقد الجلل:

أعيني جودا بالدموع السوافح على فارس الفرسان في كل صافح
أعيني إن تفنى الدموع فأوكفا دما بارفضاض عند نوح النوائح
ألا تبكيان المرتجى عند مشهد يثير مع الفرسان نقع الأباطح
عديا أخا المعروف في كل شتوة وفارسها المرهوب عند التكافح[244]

والحزن يأتي صادقا عبر شعر أوس بن حجر فى رثائه عمرو بن مسعود، وهو يخاطب عينيه ويطلب منهما أن تكثرا من الدموع تعبيرا عن الفقد العظيم وهو يذكر مثالبه وكرم خصاله يقول أوس بن حجر[245]:

عينُ جودي على عمرو بنِ مسعودِ أهلِ العَفافِ وأهلِ الحزْمِ والجودِ
أودى ربيعُ الصّعاليكِ الألى انتجَعوا وكلّ ما فَوْقَها من صالحٍ مُودي
المطعمُ الحيَّ والأمواتَ إن نزلوا شحمَ السَّنامِ من الكومِ المَقاحيدِ
والواهِبُ المائة ً المِعْكاءَ ً شْفَعُهَا يوْمَ النّضـالِ بِأُخْرى غيرَ مجْهـودِ
إنّ مِنَ القَوْمِ مَوْجوداً خَلِيفتُهُ وما خليفُ أبي وَهْبٍ بِمَوْجودِ[246]

ونلاحظ ما يتمتع به شعراء تلك الحقبة من بصيرة ثاقبة وقريحة متميزة ، كما نعلم أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل ، الذى هو ضد العلم ونقيضه ، إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق

ودارت الكلمة في القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر الجاهلي بهذا المعنى ففي سورة البقرة يقول الله سبحانه وتعالى :(**قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**) [247]

وفى حديث نبوي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لآباذر وقد عير رجلا بأمه (إنك امروء فيك جاهلية) وفى معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى يقول:

---

[243] ـ مجاني الأدب في حدائق العرب: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (ت: 1346هـ)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1913 م، 6/ 213.

[244] ـ شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام:جمعه ورتبه ووقف على طبعه: بشير يموت، الأهلية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1352 هـ - 1934 م، 39.

[245] ـ أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شريح: شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها.في نسبه اختلاف بعد أبيه حجر. وهو زوج أمّ زهير بن أبي سلمى. كان كثير الأسفار، ولم يدرك الإسلام. له (ديوان شعر).ينظر ترجمته: معاهد التنصيص 1/ 132، والأغاني، طبعة الدار 11/ 70.

[246] ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، 382، الأمالي اليزيدي : أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد بن المبارك اليزيدى (ت: 310هـ)، مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن – الهند، الطبعة: الأولى، 1397 هـ - 1938 م،55.

[247] سورة البقرة الآية (67)

الا لا يجهلن أحد علينا..... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

والملاحظ أن الشعر الجاهلي لم يتعمق في الشعر التمثيلي الذي يعتمد على حركة وحوار طويل بين أشخاص، فشعر الفخر الجاهلي منظومات تكاد تكون قصيرة قلما تتجاوز مائة بيت وهو غالبه شعر ذاتي يمثل صاحبه.

وخلاصة القول: أن الشعر الجاهلي ارتبط بالغناء ونجد أن آبا الفرج الأصفهاني أشار إلى بعض شعراء الجاهلية الذين تغنوا بشعرهم مثل السليك بن السالكة وعلقمة بن عبد الفحل والأعشى.

يقول إسحاق الموصلي (غناء العرب قديما على ثلاثة أوجه: النصب والسناد والهزج ، فأما النصب فغناء الركبان والغينات وهو الذي يستعمل في المراثي وكله يخرج من أصل الطويل في العروض.

وأما السناد فالثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات، أما الهزج فالخفيف الذي يرقص عليه ويمشى بالدف والمزمار فيطرب ويستخف الحليم. ومن هذا الباب فالعيون في الشعر الجاهلي كانت تدندن فيها أشعارهم بشتى ضروبها خاصة الشعر الغنائي.ونراهم يقفون عند المرأة فيصفون جسدها ولا يكادون يتركون شيئا فيها دون وصف له إذ يتعرضون لجبينها وعنقها وصدرها وفمها وعينها وريقها ومعصمها وساقها وثديها وشعرها كما يتعرضون لثيابها وزينتها وحليها وطيبها أو كما ورد في المفضليات .

ولقد دخلت على الفتاة الخدر فى اليوم المطير

الكاعب الحسناء ترفل فى الدمقس وفى الحرير

ولثمتـها فتنفست كتنـفس الظبى البـهير

ويقول بشر بن ابى خازم:

فظللت من فرط الصبابة والهوى طرفا فؤادك مثل فعل الأيهم

يقول امرؤ القيس:

أغراك منى أن حبـك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

فهنا يخاطب امرؤ القيس محبوبته وهى تذرف الدمع من عيونها شوقا وكأنما ترسل سهام الحب لتجعل قلبه متفتت إلى أعشار من الشوق والحب فالعيون هنا وهي في حالة البكاء تستثير الغاطفة وتؤجج الأشواق في قلب الشاعر....

أما زهير بن أبى سلمى فقد شبه امرأة بثلاثة أوصاف في بيت واحد:

تنازعها المها شبها ودر البحور وشاكهت فيها الظباء

وروى النحور موضع البحور وشابهت موضع شاكهت ثم فسر البيت :

فأما مافويق العقد منها فمن أدماء مرتعها الخلاء

وأما المقلتان فمن مهاة وللدار الملاحة والصفاء

ارتبطت العيون عند كثير من الشعراء بالمها وهى نوع من الغزلان تتميز بعيون جميلة واسعة وكما يقال أن الشاعر ابن بيئته فجاء كثير من الشعر يتغنى بتلك العيون

وهكذا وردت العيون في الشعر الجاهلي ، تحكى عن لسان حال الشعراء والبيئة التي حولهم

وهذه نماذج من أشعارهم وردت العين فيها :

السليك بن السالكة[248]:

فَقُلتُ لَهُ لا تُبكِ عَينَكَ إِنَّها قَضيَّةٌ ما يُقضى لَها فَتَنوبُ

سَيَكفيكَ فَقدَ الحَيِّ لَحمُ مَغَرَّضٌ وَماءُ قُدورٍ في الجِفانِ مَشوبُ

أَلَم تَرَ أَنَّ الدَهرَ لَونانِ لَونُهُ وَطَورانِ بِشرٌ مَرَّةً وَكَذوبُ[249]

يقول النابغة الذبياني[250]:

ودّعْ أمامه َ، والتّوديـعُ تَعْذيرُ، و ما وداعكَ منْ قفتْ به العيرُ

و ما رأيتكَ إلاّ نظـرةً ً عرضتْ، يوْمَ النِّمـارة ، والمأمورُ مأمورُ

إنّ القُفولَ إلى حيَ، وإن بَعُدوا، أمسَوْا،ودونَهُمُ ثَهْلانُ فالنِّيرُ[251]

المرقش الأكبر[252]:

---

[248] ـ السليك بن عمير بن يثربي بن سنان السعدي التميمي، والسلكة أمه: (ت 17 ق هـ) فاتك، عدّاء، شاعر، أسود، من شياطين الجاهلية. له وقائع وأخبار كثيرة.قتله أسد ابن مدرك الخثعميّ .ينظر ترجمته: الأغاني 18/ 133 – 137، والكامل للمبرد 1/ 251.

[249] ـ الأغاني 18/ 136.

[250] ـ زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانيّ الغطفانيّ المضري، أبو إمامة(ت 18 ق هـ): شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وهو أحد الأشراف في الجاهلية.ينظر ترجمته: شرح شواهد المغني 29 ، والأغاني طبعة الدار 11/ 3.

[251] ـ رسالة الغفران: أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان، أبو العلاء المعري، التنوخي (المتوفى: 449هـ)، مطبعة (أمين هندية) بالموسكي (شارع المهدي بالأزبكية) – مصر، صححها ووقف على طبعها: إبراهيم اليازجي، الطبعة: الأولى، 1325 هـ - 1907م، 99.

سَرى لَيْلاً خَيالٌ مِنْ سُلَيْمى فأَرَّقَني وأصْحابي هُجُودُ

فَبِتُّ أُدِيرُ أَمْرِي كلَّ حالٍ وأَرْقُبُ أَهْلَها وهُمُ بعيدُ

عَلى أَنْ قَدْ سَما طَرْفِي لِنارٍ يُشَبُّ لها بذِي الأَرْطى وَقُودُ

حَوالَيْها مَهاً جُمُّ التَّراقي وأَرْآمٌ وغِزْلانٌ رُقُودُ

نَواعِمُ لا تُعالِجُ بُؤْسَ عَيْشٍ أَوانِسُ لا تُراحُ وَلا تَزُودُ[253]

حاتم الطائي[254]:

ألا أرِقَتْ عَيني، فبِتُّ أُديرُها حذار غد، أحجى بأن لا يضيرها

إذا النّجم أضْحى ، مغربَ الشمس، مائلا ولم يك، بالآفاق، بون ينيرها

إذا ما السماء، لم تكن غير حلبة كجِدّة بَيتِ العَنكبوتِ، يُنيرُها

فقد عَلِمَتْ غَوْثٌ بأنّا سَراتُها إذا أعلمت، بعد السرار، أمورها[255]

بشر ابن أبى خازم[256]:

أَلا يا عَينِ فَابكي سُمَيراً إذا ظَلَّ المَطِيُّ لَها صَريفُ

أَلا يا عَينِ فَابكي سُمَيراً إذا صَعِرَت مِنَ الغَضَبِ الأُنوفُ

فَكَم خَلّى سُمَيرٌ مِن أُمورٍ عَلَيَّ لَوَ اَنَّني جَلدٌ عَزوفُ

وَكُنتُ إِذا دَعَوتُ أَجابَ صَوتي كَمِيٌّ لا أَلَفُّ وَلا ضَعيفُ[257]

البراق بن روحان[258]:

---

[252] ـ عوف (أو عمرو) بن سعد بن مالك ابن ضبيعة من بني بكر بن وائل(ت 75 ق هـ): شاعر جاهلي، من المتيمين الشجعان. عشق ابنة عم له اسمها " أسماء ".ينظر ترجمته: الأغاني طبعة الدار 6/ 127 ، والشعر والشعراء 54.

[253] ـ المفصليات: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (ت: نحو 168هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة، الطبعة: السادسة،د.ت، 223،والأغاني، أغاني دار الكتب": 6/ 129 وما بعدها.

[254] ـ حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عَدِيّ(ت 46 ق هـ): فارس، شاعر، جواد، جاهلي. يضرب المثل بجودة. كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج ماوية بنت حجر الغسانية. صغير. وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب والتاريخ.ينظر ترجمته: تهذيب ابن عساكر 3/ 420 – 429، والشعر والشعراء 70.

[255] ـ الفاضل: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت: 285هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة،الطبعة: الثالثة، 1421 هـ،40، وشعراء النصرانية،جمعه ووقف على طبعة وتصحيحه: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (ت: 1346هـ)، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، 1890م، 1/ 121.

[256] ـ بشر بن (أبي خازم) عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل(ت 22 ق هـ): شاعر جاهلي فحل. من الشجعان. من أهل نجد، من بني أسد ابن خزيمة. له (ديوان شعر).ينظر ترجمته: الشعر والشعراء 86 ، وأمالي المرتضى 2/114.

[257] ـ شعراء النصرانية ، 6/ 738.

عين تجود وقلب واله كمد لما ثوى في الثرى الضرغامة الأسد
غاب الكرى وتقضى النوم وانصرمت حبل التواصل لما أن دنا السهد[259]

قيس بن الخطيم[260]:

لَو وَقَفوا ساعَةً نُسائِلُهُم رَيثَ يُضَحّي جِمالَهُ السَلَفُ
فيهِم لَعوبُ العَشاءِ آنِسَةُ ال دَلّ عَروبٌ يَسوءُها الخُلُفُ
بَينَ شُكولِ النِساءِ خِلقَتُها قَصدٌ فَلا جَبلَةٌ وَلا قَضَفُ
تَغتَرِقُ الطَرفَ وَهيَ لاهِيَةٌ كَأَنَّما شَفَّ وَجهَها نُزُفُ
تَنامُ عَن كُبرِ شَأنِها فَإِذا قامَت رُوَيداً تَكادُ تَنغَرِفُ
حَوراءُ جَيداءُ يُستَضاءُ بِها كَأَنَّها خوطُ بانَةٍ قَصِفُ[261]

زهير بن جناب الكلبى[262] حين يذكر سلمى وديارها تدمع العين شوقا وحزنا ، فيدعو لها بالمطر الغزير:

فَلَمّا رَأَتني وَالطَليحَ تَبَسَّمَت كَما اِنكَلَّ أَعلى عارِضٍ يَتَأَلَّقُ
فَرَدَّت سَلاماً ثُمَّ وَلَّت بِحَلفَةٍ وَنَحنُ لَعَمري يا اِبنَةَ الخَيرِ أَشوَقُ
فَيا طيبَ ما رَيّا وَيا حُسنَ مَنظَرٍ لَهَوتُ بِهِ لَو إِن رُؤياكَ تَصدُقُ
وَيَوماً بِأَبلِيٍّ عَرَفتُ رُسومَها وَقَلتُ عَلَيها وَالدُموعُ تَرَقرَقُ
فَكادَت تُبينُ الوَحيَ لَمّا سَأَلتُها فَتُخبِرُنا لَو كانَتِ الدارُ تَنطِقُ
فَيا رَسمَ سَلمى هِجتَ لِلعَينِ عَبرَةً وَحُزناً سَقاكَ الوابِلُ المُتَبَعِّقُ[263]

---

[258] ـ البراق بن روحان أسد بن بكر، من بني ربيعة، أبو نصر(ت150 ق هـ):شاعر جاهلي. من أقارب كليب والمهلهل. أصله من اليمن وشهرته وإقامته في البحرين. ويعد من شجعان الجاهليين ومن ذوي السيادة فيهم. وكانت بينه وبين طيّئ وقضاعة حروب انتهت بظفره وظهور قومه. وأكثر شعره في وصف حروبه .ينظر ترجمته: شعراء النصرانية 1: 141 - 147.

[259] ـ شعراء النصرانية، 2/ 144.

[260] ـ قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد(ت 2 ق هـ): شاعر الأوس، وأحد صناديدها، في الجاهلية. أول ما اشتهر به تتبعه قاتلي أبيه وجده حتى قتلهما. أدرك الإسلام وتريث في قبوله، فقتل قبل أن يدخل فيه. شعره جيد، وفي الأدباء من يفضله على شعر حسان. له " ديوان - ط " .ينظر ترجمته: الأغاني 2: 154، وجمهرة أشعار العرب 123.

[261] ـ الأصمعيات ، 196.

[262] ـ زهير بن جناب بن هبل الكلبي، من بني كنانة بن بكر(ت 60 ق هـ): خطيب قضاعة وسيدها وشاعرها وبطلها ووافدها إلى الملوك، في الجاهلية. كان يدعى (الكاهن) لصحة رأيه. وهو من أهل اليمن.ينظر ترجمته: الشعر والشعراء 142، وآمالي المرتضى 1/ 172.

عدى بن زيد التميمي[264]:

أَبصَرَت عَيني عشَاءً ضَوءَ نَارٍ مِن سَناها عَرفُ هِنديٍّ وغارِ
أَرَّثَت في عَرَفٍ مَوقِدَها فأَضاءَت لَمعَ كَفٍّ بِسِوارِ
مَيُّ إنيِّ بِكُمُ مُرتَهَنٌ غيرَ ما أَكذِبُ نَفسي وأُماري
أَبلِغِ النُّعمانَ عَنِّي مَالُكاً أَنَّهُ قَد طالَ حبَسي وانتظاري[265]

الفصل السابع

العيون في شعر العصر الأموي

لاشك أن الاسلام كان نقلة كبيرة للمجتمع الجاهلي بما حمله من متغيرات فكرية، وكان من الطبيعي أن يلعب دورا مؤثرا في حياة العرب ، فقد اختلف الهدف وتغيرت الغاية، بعد أن سكن الأيمان القلوب فتأثرت الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فكان من البديهي أن تشهد الحياة الأدبية تغيرا كبيرا ، ولا ننسى دور القرآن الكريم في تغير الأفكار ومن ثم التأثير على العاطفة الشعرية ففي هذه المرحلة أصبحت الشاعرية أكثر شفافية ورقة والشعراء أصبحوا أكثر ولعا وتدفقاً ،فظهرت الصور الوجدانية الحميمة ، ثم استمر التغير الروحي يأخذ منحنى في التأثر بحياة الزهد ومن الصحابة من اشتهر بحياة الزهد مثل أبو الدرداء الذي يروى في الزهد عبارات مأثورة مثل قوله(أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث ، أبى مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل لا يغفل عنه وضاحك ملء فيه ولا يدرى ساخط ربه أم راض ، وأكانى هول المطلع ، وانقطاع العمل ، وموقفي بين يدي الله لايدري أيأمر بي إلى الجنة أم إلى النار، ويقول الحسن البصري

---

[263] ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: 1093هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ - 1997 م، 2/ 191.

[264] ـ علي بن زيد حماد بن زيد العبادي التميمي(ت 35 ق هـ): شاعر، من دهاة الجاهليين. كان قروياً، من أهل الحيرة، فصيحاً، يحسن العربية والفارسية والرمي النشاب. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى.. له" ديوان " ببغداد.ينظر ترجمته:ينظر ترجمته: خزانة الأدب للبغدادي 1/ 184 – 186، والأغاني، طبعة دار الكتب 2/ 97.

[265] ـ الروض المعطار في خبر الأقطار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: 900هـ)، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، 1980 م، 298.

((أدركت من صدور هذه الأمة قوما كانوا إذا جنَهم الليل فقيام على أطرافهم ، يفترشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم ، يناجون مولاهم في فكاك رقابهم)) وقد كانت هذه الطائفة من طوائف البكائين.

فالشعر الأموي عموما كتب في ظلال نفسية جديدة آمنت بربها ، واستشعرت حياة نقية صالحة ، فيها نسك وعبادة ، وفيها تقوى وزهد ، وليس معنى ذلك أن كل الشعراء كانو ناسكين زاهدين، إنما معناه : أن الحياة الروحية الجديدة لم تنفصل عن حياتهم الفنية كما ذكر شوقي ضيف

وهاهو كُثير يمدح عمر بن عبد العزيز فيقول له :

فصدقت بالفعل المقال مع الذي أتيت فأمسى راضيا كل مسلم

وتومض أحيانا بعين مريضة وتبسم عن مثل الجمال المنظم

تركت الذي يفنى وإن كان مونقا وآثرت مايبقى برأي مصمم

واضررت بالفاني وشمرت للذي أمامك في يوم من الشر مظلم

ففي عهد الدولة الأموية نلاحظ أن العين كانت مصدر ومحور لتألق الشعر وباب للإبداع أو كادت أن تكون المدخل المعبر عن ما يجيش في النفوس من انفعال ومن تنسك وحنين أو بكاء أو فرح أو غزل:

يقول الوليد بن يزيد[266] وهو يصف عيون سلمى وهى تخاطبه كانها ظبية :

فَزَجَرتُ النَفسَ عَنها لَو تَناهَت بِإِنتِهاءِ

نَظَرَت سَلمى وَقالَت حينَ صَدَّت يا نِسائي

نَظَرَ الظَّبيَةِ ريعَت وَهِيَ وَسنى في ظِباءِ[267]

وهنا يستعمل الشاعر الأموي في وصفه الرائع بأن حاجب عين محبوبته كأنه القوس

المشدود وروعة العيون كأنما هي سهام مصوبة تصيب كبده بالحب

نالت على يدها ما لم تنله يدي نقشاً على معصمٍ أوهت به جلدي

---

[266] ـ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس(88 - 126 هـ): من ملوك الدولة المروانية بالشام. كان من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم. له شعر رقيق وعلم بالموسيقى. ولي الخلافة (سنة 125 هـ) بعد هشام بن عبد الملك، فمكث سنة وثلاثة أشهر، قتله أصحاب يزيد بن هشام بن عبد الملك.ينظر ترجمته: الأغاني طبعة الدار 7/ 1 و 274/9 ، وخزانة البغدادي 1/ 328.

[267] ـ نفح الأزهار في منتخبات الأشعار: شاكر بن مغامس البتلوني (ت: 1314هـ، تحقيق: إبراهيم اليازجي، المطبعة الأدبية، بيروت،الطبعة: الثالثة، 1886 م، 17.

كأنهُ طُـرْقُ نمـلٍ في أنامـلهـا أو روضةٌ رصـعتها السُحْبُ بالبردِ

وقوسُ حاجبها مِنْ كُلِّ ناحيةٍ وَنَبْـل مُقْلَتِهـا ترمـي بـه كبد

مدتْ مَوَاشِطها فـي كفها شَرَكاً تَصِيدُ قلبي به مِـنْ داخـل الجد

أنسيةٌ لو رأتها الشمسُ مـا طلعتْ من بعدِ رُؤيَتها يومـاً علـى أحدِ[268]

ونرى الشاعر عُمَر بن ربيعة[269]، وهو من شعراء العصر الأموي يتخير مفردة الطرف يقول الشاعر عُمَر بن ربيعة :

قُلتُ لَها مَن أَنتُمُ لَعَلَّ داراً تُسعِفُ فَابتَسَمَت عَن واضِحٍ غَرِّ الثَّنايا يَنطِفُ

وَأَومَضَت عَن طَرفِها يا حُسنَها إِذ تَطرِفُ وَأَرسَلَت فَجاءَني بَنانُها المُطَّرَفُ[270]

والشاعر الرائع جرير[271]، يرسم لوحات تنطق سحراً .....فقد جعل من العيون مخلوقا أنثوي ذا كيان خاص، بل زاد على ذلك بأن جعل للعيون الاستطاعة والمقدرة في تبديل الأحوال لمن يعشق ما فيهن من جمال رغم ضعفهن.

ما أحدث الدهر مما تعلمين لكم للحبل صرماً ولا للعهد نسيانا

أَبُدِّلَ الليْل لا تسري كواكُبه أم طال حتى حسبت النجم حيرانا

إن العيون التي في طرفــها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يا حبذا جبل الريان من جبـل وحبذا ساكن الريان من كانا[272]

جميل بثينة[273]وهو يرسم العيون من خلال دموعها وهى تفضح أشواقه التي يريد أن يخفيها :

أبت مقلتي كتمان ما بي وبيّنت مكان الذي أخفي وفاض المدامع

غداة لقيناها على غير موعد بأسفل خيم والمطيّ خواضع

وأومت بجفن العين واحتار دمعه لتقتلني مملوحـة الدّلّ مانـع

كمت دمعها عين الصحيح وبيّنت مكان ذوي الشوق العيون الدوامع

---

[268] ـ نفح الأزهار في منتخبات الأشعار: شاكر بن مغامس بن محفوظ بن صالح شقير البتلوني (المتوفى: 1314هـ)، تحقيق: إبراهيم اليازجي،المطبعة الأدبية، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1886 م،17.

[269] ـ عمرو بن ربيعة بن كعب التميمي السعدي، أبوبيهس: شاعر، من المعمرين الفرسان في الجاهلية.قيل: أدرك الإسلام، وأمر بهدم البيت الّذي كانت تعظمه ربيعة في الجاهلية. لقب " المستوغر " ينظر ترجمته: أمالي المرتضى 1/ 169، والشعر والشعراء 144.

[270] ـ

[271] ـ جرير بن عطية بن حذيفة الخَطَفي بن بدر الكلبيّ اليربوعي، من تميم(28 - 110 هـ):أشعر أهل عصره. ولد ومات في اليمامة. وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم - وكان هجاءاً مرّا - فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل.وله (ديوان شعر).. ينظر ترجمته: وفيات الأعيان 1: 102 ، وشرح شواهد المغني 16.

[272] ـ من قصيدة يهجو الأخطل، فى ديوانه 593- 598. وانظر الأغاني 7: 35- 37، 50 و 19: 37.

[273] ـ جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو(ت 82 هـ): شاعر، من عشاق العرب. افتتن ببثينة، من فتيات قومه، فتناقل الناس أخبارهما. شعره يذوب رقة، ومات بمصر.ينظر ترجمته: الأغاني طبعة دار الكتب 8: 90 ، والشعر والشعراء 166.

ورقرقت دمع العين ثم ملكته مجال القذى فالدمع في الجفن ناقع
أحقّا عباد الله أن لست زائرا بثينة إلا أُصْغِيَتْ لي المسامع
وإلا عداني دون بثنة أعينٌ حداد ولامتها النساء الهلامع[274]

وفى لوحة أخرى للعيون يقول كثير عزة [275]:

يَروقُ العُيونَ الناظِراتِ كَأَنَّهُ هِرَقلِيُّ وَزنٍ أَحمَرُ التَّبر راجِعُ
وَآخِرُ عَهدٍ مِنكِ يا عَزُّ إِنَّهُ بِذي الرَمثِ قولٌ قُلتِهِ وَهوَ صالِحُ
مُلاحُكِ بالبَردِ اليَماني وَقَد بَدا مِن الصَرمِ أَشراطٌ لَهُ وَهوَ رائِحُ
وَلَم أَدرِ أَنَّ الوَصلَ مِنك خلابَةٌ كَجاري سَرابٍ رَقرَقَتهُ الصَحاصِحُ
أَغَرَّكِ مِنّا أَنَّ دَلَّكِ عِندَنا وَإِسجادَ عَينيكِ الصَيودَينِ رابِحُ
وَأَن قَد أَصَبتِ القَلبَ مِنّي بِغُلَّةٍ وَحُبٍّ لَهُ في أُسوَدِ القَلبِ قادِحُ
وَلَو أَنَّ حُبّي أُمَّ ذي الوَدعِ كُلَّهُ لِأَهلِكِ مالٌ لَم تَسَعهُ المَسارِحُ
يَهيمُ إِلى أَسماءَ شوقًا وَقَد أَتى لَهُ دونَ أَسماءَ الشَغولُ السَوانِحُ

والعيون التى تطلب منها الشاعرة البكاء حزنا على مرارة الفراق تقول ليلى الأخيلية[276]فى ذلك:

ياعينُ بَكّي بدَمْعٍ دائِمِ السَّجمِ وابكي لتوبة عند الروع والبهمِ
على فتًى من بَني سَعْدٍ فُجعتُ بهِ ماذا أجنَّ به في الحُفْرَة الرَّجْمِ
منكلّ صَافية صرْفٍ وقافية مثل السِّنان وأمر غير مُقتَسِمِ
ومصدر حين يعيي القوم مصدرهم وحَفنة عند نحسِ الكوكبِ الشبِمِ[277]

يقول قيس بن الملوح[278] وعيون العشق فيه تنهمر من صوت سجع الحمائم:

أَإِنْ سَجَعَتْ في بَطْنِ وَادٍ حَمَامَة تُجَاوِبُ أُخْرَى دَمْعُ عَيْنِكَ دَافِقُ
كأنَّك لم تَسْمَعْ بُكاء حَمَامَة بليل ولم يحزنك إلف مفارق

---

274 ـ

275 ـ كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر(ت 105 هـ): شاعر، متيم مشهور. من أهل المدينة. أكثر إقامته بمصر. وكان مفرط القصر دميماً، في نفسه شمم وترفع. يقال له " ابن أبي جمعة " و " كثير عزة " و " الملحي " نسبة إلى بني مليح، وهم قبيلته. توفي بالمدينة. له " ديوان شعر ".ينظر ترجمته: الأغاني 8/ 25، وشرح شواهد المغني 24.

276 ـ ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد ابن كعب، الأخيلية من بني عامر بن صعصعة (ت 80 هـ): شاعرة فصيحة ذكية جميلة. اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير. لها" ديوان ليلى الأخيلية " . ينظر ترجمتها: فوات الوفيات 2/ 141، والنجوم الزاهرة 1/ 193.

277 ـ

278 ـ قيس بن الملّوح بن مزاحم العامري(ت 68 هـ): شاعر غزل، من المتيمين، من أهل نجد. لم يكن مجنوناً، وإنما لقب بذلك لهيامه في حب " ليلى بنت سعد ". وقد جمع بعض شعره في " ديوان " . ينظر ترجمته: فوات الوفيات 2/ 136 ، والنجوم الزاهرة 1/ 182.

ولم ترَ مَفْجُوعاً بِشَيْءٍ يُحِبُّهُ سواك ولم يعشق كعشقك عاشق
بَلَى وَأفِقْ عن ذِكْرِ لَيْلَى فإنَّمَا أخو الحب من ذاق الهوى وهوتائق[279]

عبد الله بن قيس الرقيات[280]:

شَأَتكَ عينٌ دُموعُها غَسَقُ في إثرِ حَيٍّ سُلّافُهُم فِرَقُ
لَيسَ عَلَيهِم دِياتُ مَن قَتَلوا وَالرَهنُ فيهِم مُمَنَّعٌ غَلَقُ
فيهِم سُلَيمى وَجارَتانِ لَها وَالمِسكُ مِن جَيبِ دِرعِها عَبِقُ
كَأَنَّها دُميَةٌ مُصَوَّرَةٌ ميعَ عَليها الزِرياب وَالوَرَقُ
إِن خَتَمَت جازَ طينُ خاتَمِها كَما تَجوزُ العَبدِيَّةُ العُتُقُ
زَمّوا الخِدَبّاتِ مِل جِمالِ لِكَي يَغدوا سِراعاً وَالفَجرُ مُنفَلِقُ[281]

ومجنون ليلى قيس بن الملوح يخبر كيف تتكلم العيون وهى ترحب بمقدمه وكيف إن العين تفصح عبر اشاراتها بمعانى لا يترجمها الا المحبوب

أَشارَت بِعَينَيها مَخافَةَ أَهلِها إِشارَةَ مَحزونٍ بِغَيرِ تَكَلُّمِ
فَأَيقَنتُ أَنَّ الطَرفَ قَد قالَ مَرحَباً وَأَهلاً وَسَهلاً بِالحَبيبِ المُتَيَّمِ.

وخلاصة القول أنه رغم تأثر شعر العصر الأموي بالنقلة الروحية التي اصطحبت الإسلام ،الإ أننا نجد على الجانب الآخر تأثر كثير من الشعراء بحياة الترف مثل عمر بن أبى ربيعة وابن قيس الرقيات والعرجى والأحوص والوليد بن يزيد ، فأشعارهم جميعا تعبر عن ذوق جديد مترف بحضارة عرفوا فيها رغد العيش فجاء التغنى بالعيون رقيقا متدفقا بالعاطفة ، فجاء تناولهم للعين أكثر أناقة وشفافية.

الفصل الثامن

العيون في شعر العصر العباسي

---

[279] ـ الأمالي: أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون (ت: 356هـ)، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، 1344 هـ - 1926م، 1/ 131.

[280] ـ عبد الله بن قيس الرقيات أَشد قُرَيْش أسر شعر فِي الْإِسْلَام بعد ابْن الزبعري وَكَانَ غزلاً ، وأغزل من شعره شعر عمر بن أبي ربيعَة وَكَانَ عمر يُصَرح بالغزل ولد يهجو وَلَا يمدح وَكَانَ عبد الله يشبب وَلَا يُصَرح.ينظر ترجمته:طبقات فحول الشعراء،649/2.

[281] ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت: 845هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ، 4/ 438.

الإسلام دين العلم ولاشك في ذلك ، في هذه الحقبة الذهبية من عمر الدولة الإسلامية زادت روح الاستزادة في طلب العلم وكان لذلك أثراً عميقاً في تناول المواضيع الشعرية وذلك نتاج منطقي لنمو وتطور الوجدان العربي ، ففي ظل هذا العصر اتسعت رقعة الدولة الإسلامية تحت سيطرة الدولة العباسية ، ولابد أن يزيد تداخل الثقافات من هذا النهم ، فكان من الطبيعي أن تتأثر الحركة الأدبية بهذا التدفق العلمي ، وذاك الترف الحياتي والتباين الاجتماعي والتلاقح الثقافي.

في هذا العصر تشعبت المواضيع الشعرية، وذلك نشطت الحركة البلاغية وتطورت الأفكار واسترسلت العيون تستنطق خيال الشعراء ، وتستثير الأفكار وتستحوذ عند بعض الشعراء على أركان قصائدهم ، فبقدر روعة استخدامهم الراقي لعلوم البلاغة ازدهرت العيون في خيالاتهم فتدفقت المعاني ترسم لوحات ناطقة للعيون وبالعيون والشاعر العباسي..ابن المعتز[282].....يرسم من الخيال للعين أبهى الصور:

وَالنَجمُ في اللَيلِ البَهيمِ تَخالُهُ عَيناً تُخالِسُ غَفلَةَ الرُقَباءِ

وَالصُبحُ مِن تَحتِ الظَلامِ كَأَنَّهُ شَيبٌ بَدا في لِمَّة سَوداءِ.

وليس بالضرورة أن تأتي العيون مباشرة ،فقد تجد وظيفة العين وما يرمز إليها تلطفا أو قد يشار اليها اضفاء لتكملة اللوحة وهاهو أبو الطيب المتنبي[283] يمدح ويفتخر ويفاخر:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام و أنت الخصم والحكم

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

وجاهل مده في جهله ضحكي حتى أتته يد فراسة وفم

---

[282] ـ عبد الله بن محمد المعتز باللَّه بن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس(247 - 296 هـ): الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة. ولد في بغداد، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم.وصنف كتباً، منها " الزهر والرياض " و " البديع " و " الآداب " وله " ديوان شعر ".ينظر ترجمته: الأغاني طبعة دار الكتب 10/ 374، ومعاهد التنصيص 2/ 38.

[283] ـ أحمد بن الحسين بن الحسن الكوفي الكندي، أَبُو الطَّيِّب المُتَنَبِّي(303 - 354 هـ): الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربيّ.. ولد بالكوفة في محلة تسمى (كندة) وإليها نسبته.ونشأ بالشام، ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس. وتنبأ في بادية. السماوة له(ديوان شعره).ينظر ترجمته: لسان الميزان 1: 159، وتاريخ بغداد 4: 102.

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم[284]

وتشرق العيون عند شعر البحتري وهو يصف حياء محبوبه واخفاءه الحب في حضرة الرقباء ويتستر من العيون أي محبوبه رغم أن الهوى اكتنفه، ولكن الأجمل حين يلتقي الأحباء وتخرس الألسن .

وتتكلم بالأشواق العيون يقول البحترى[285]:

حَبِيبِي حبيبٌ يكتم النَّاس أَنه لنا حِين ترمينا الْعُيُون حبيب

يباعدني فِي الْمُلْتَقى وفؤاده وَإِن هُوَ أبدى لي البعاد قريب

ويعرض عني والهوى لي مقبلٌ إِذا خَافَ عينا أَو أَشَارَ رَقِيب

فتخرس منا ألسن حِين نَلْتَقِي وتنطق منا أعين وَقُلُوب[286]

أما ابن الرومي[287] فيقول إن الحمد للجفون ليس بالنوم ونفيها الأقذاء أنما الحمد الحقيقي هو أن لا تمتلىء هذه العيون بالكراهية والبغضاء:

ليس حمد الجفون في مريها النوم ولا نفيها أذى الأقذاء

إنما حمدها إذا هي حالت بين طرف العيون والبغضاء[288]

مهيار الديلمى[289]:

كالشمس من جمرة عبد شمسِ غضبى سخت نفسي لها بنفسي

---

[284] ـ ديوان أبو الطيب المتنبي 2/ 258. هو مطلع قصيدة يمدح فيه سيف الدولة الحمداني.

[285] ـ الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري(206 - 284 هـ): شاعر كبير، يقال لشعره " سلاسل الذهب ".وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي، وأبو تمام، والبحتري. له " ديوان شعر " وكتاب " الحماسة ".ينظر ترجمته: وفيات الأعيان 2/ 175، ومعاهد / 234.

[286] ـ لآمالي: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت: 337هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل – بيروت الطبعة: الثانية، 1407 هـ - 1987م، 110.

[287] ـ علي بن العباس بن جريج، أو جورجيس، الرومي، أبو الحسن(221 - 283 هـ): شاعر كبير، من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل، ولد ونشي ببغداد، ومات فيها مسموماً. له " ديوان شعر ".ينظر ترجمته: وفيات الأعيان 1/ 350، ومعاهد التنصيص 1/ 108.

[288] ـ

[289] ـ مهيار بن مرزويه، أبو الحسن أو أبو الحسين الديلمى(ت 428 هـ): شاعر كبير، في معانيه ابتكار. وفي أسلوبه قوة. ينعته مترجموه بالكاتب، ولعله كان من كتاب الديوان. له (ديوان شعر).ينظر ترجمته: تاريخ بغداد13/ 276، والبداية والنهاية12/ 41و 87.

ماطلةٌ غريمها لا يَقتضي ديونَه ودَينَها لا يُنسِي

في بلدٍ يحرمُ صيدُ وحشِهِ وهي به تُحلّ صيدَ الإنسِ

ترى دمَ العشاق في بنانها علامةً قد مُوّهتْ بالوَرسِ

تُفسِدُ خَلْقاً ليّناً معتدلاً لها بأخلاقٍ جِعادٍ شُمسِ

في طرفها تغزُّلٌ وقلبها حماسة تنسبها للحُمسِ[290]

أبو فراس الحمداني[291]:

ولا أسوغ نفسي فرحة أبدا وقد عرفت الذي تلقاه من كمد

وأمنع النوم عيني أن يلم بها علما بأنك موقوف على السهد

يا مفردا بات يتكئ لا معين له أعانك الله بالتسليم والجلد

هذا الأسير المبقى لا فداء لها يفديك بالنفس والآهلين والولد[292]

بشار بن برد[293]:

نور عيني أصبت عيني بسكب يوْمَ فارقْتِنِي علَى غيْرِ ذَنْبِ

كيف لم تذكري المواثيق والعه عد وما قُلْتِ لي وقُلْتِ لصحْبِي

ما تصبرت عن لقائك إلا قل صبري وباشر الموت قلبي

ليتني متُّ قبل حبكِ يا قرَّ ة عيني أو عشتُ في غير حبِّ

ليْس شيءٌ أجلَّ مِنْ فُرْقة ِالنَّفْ س فحسبي فجعتُ بالنفس حسبي

كف عيشي وما نعود كما كن نَا إِلَى اللَّه أَشْتَكِي جَهْد كرْبِي[294]

صريع الغواني – مسلم بن الوليد[295].

---

290 ـ

291 ـ الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي، أبُو فِرَاس الحَمْدَاني(320 - 357 هـ): أمير، شاعر، فارس. وهو ابن عم سيف الدولة. وله وقائع كثيرة، قاتل بها بين يدي سيف الدولة حتى أسر. امتاز شعره في الأسر برومياته. له (ديوان شعر).ينظر ترجمته: وفيات الأعيان 1/ 127 ، وشذرات الذهب 3/ 24.

292 ـ

293 ـ بشار بن برد العُقيلي، بالولاء، أبو معاذ(95 - 167 هـ): أشعر المولدين على الإطلاق. أصله من طخارستان (غربيّ نهر جيحون) ونسبته إلى امرأة (عُقيلية) قيل إنها أعتقته من الرق. وكان ضريراً.نشأ في البصرة وقدم بغداد. وأدرك الدولتين الأموية والعباسية. وشعره كثير متفرق، وجمع بعضه في (ديوان). واتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط.ينظر ترجمته: وفيات الأعيان 1/ ، والشعر والشعراء 291.

294 ـ

اِستَمطَرَ العَينَ أَن أَحبابُهُ اِحتَمَلوا لَو كانَ رَدَّ البُكاءُ الحَيَّ إِذ رَحَلوا

لَولا الشَبابُ وَعَهدٌ لا أَحيسُ بِهِ لَأَعقَبَ العَينَ نَوماً ماؤُها الخَضِلُ

رُمتُ السُلُوَّ وَناجاني الضَميرُ بِهِ فَاِستَعطَفَتني عَلى بَيضاتِها الحَجَلُ

وَلَيلَةٍ يَومَ يَومي ضِحكَةٌ وَبُكاً باتَت بِعَيني عُيونُ العَينِ تَكتَحِلُ

باتَت تُعاطيهِ كَأسَ اللَهوِ جارِيَةٌ رودُ الشَبابِ أُناةٌ مِرطُها رَجِلُ

كَأَنَّها ثَمِلٌ مالَ الصَبوحُ بِهِ لَيسَت بِهِ هُوَ لَكِن مَشيُها ثَمِلُ

وَما اِستَخَفَّكَ إِلّا نَظرَةٌ سَلَكَت إِثرَ القَبولِ وَقَد خَفَّت لَهُ السُدُلُ

ريعَت فَراعَت ظِباءَ الإِنسِ آنِسَةً وَهُنَّ عَنها وَما أَغفَلنَها غُفُلُ

وَالناظِراتُ شُفوناً إِن عَرَضنَ لَنا كَما تَرامى بِلَحظِ الخُلسَةِ القُبُلُ[296]

إسحاق الموصلي[297] وهو يبكى أيام الصبا ووصل الغواني والشرب وهو يودع تلك الأيام الخوالي بحسرة ثم يضيف إلى حزن ذلك الفقد بأنه اليوم لا يملك إلا نظر العينين وما يشتهي قلبه متباكيا متمنيا أن تعود تلك الأيام:

سلامٌ على سير القِلاصِ مع الرَّكبِ ووَصلِ الغَواني والمُدامةِ والشربِ

سلام امرئ لَم يبقَ مِنهُ بقيةٌ سوى نَظرِ العَينَينِ أو شَهوةِ القلبِ

لعمري لَئن حُلِّئتُ عن مَنهل الصِّبا لقد كنتُ وَرّاهاً لِمشرَعِهِ العَذبِ

ليالي أغدو بين بُردَيَّ لاهياً أميسُ كغُصنِ البانةِ الناعمِ الرطبِ [298]

ديك الجن[299] يصف الجمال الرقيق تحت تلك الحواجب الزج وعيون دعجاء ينظرن من تحت النقاب ويصف تلك العيون بأنها تسبى من ينظر إليها وتصيد بغنجها ودلالها:

---

[295] ـ مسلم بن الوليد الأنصاري، بالولاء، أبو الوليد، المعروف بصريع الغواني(ت 208 هـ): شاعر غزل، هو أول من أكثر من (البديع) وتبعه الشعراء فيه. وهو من أهل الكوفة. نزل بغداد.ينظر ترجمته: النجوم الزاهرة 2/ 186 ، والشعر والشعراء 339 .

[296] ـ

[297] ـ إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي، أبو محمد ابن النديم(155 - 235 هـ):من أشهر ندماء الخلفاء. تفرد بصناعة الغناء، شاعراً، له تصانيف، من فارسي الأصل، مولده ووفاته ببغداد. وعمي قبل موته بسنتين. من تصانيفه (كتاب أغانيه) ، و (أخبار عزة الملاء) و (أغاني معبد) و (الندماء).ينظر ترجمته: الفهرست 1/ 140، ووفيات الأعيان 1/ 65.

[298] ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: جار الله الزمخشري توفي 583 هـ، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ، 2/ 462.

فَوقَ العُيونِ حَواجِبٌ زُجُّ تحتَ الحَواجِبِ أَعْيُنٌ دُعْجُ

يَنْظُرْنَ مِنْ خَلَلِ النِّقابِ ومِنْ تَحْتِ النِّقَابِ ضَواحِكٌ فُلْجُ

وإذا نَظَرْنَ رَمَقْنَ عَنْ مُقَلٍ تَسْبِي الْعُيونَ فَحَشْوُهَا غُنْجُ

وإذا ضَحِكْنَ ضَحكنَ عن بَرَدٍ عَذْبِ الرُّضَابِ كأنّهُ ثَلْجُ

وإذا نَزَعْنَ ثيابَهُنَّ تُرَى فَوْقَ المُتُونِ ذَوائبٌ سُبْجُ[300]

ويقول أيضاً:

دَعِ الْبَدْرَ فَلْيَغْرُبُ فأنتَ لَنَا بَدْرُ إذا ما تَجَلّى مِنْ مَحاسِنِكَ الفَجْرُ

إذا مَا انْقَضَى سِحْرُ الذينَ ببَابِلٍ فَطَرْفُكَ ليْ سِحْرٌ وَرِيقُكَ لي خَمْرُ[301]

أبو نواس[302]يلوم عينه التي أوقعت به وينفى إن يكون قلبه المغلوب على أمره هو السبب وأن عينه هي التي جنت عليه ، وانه ما كان ليعرف البلاء والكرب ولا البكاء والحزن لولاها ، وقد كانت مصدر الهوى الذى شب وكبر :

عَيني أَلومُكِ لا أَلو مُ القَلبَ لا ذَنبٌ لِقَلبي

أَنتِ الَّتي قَد سِمتِهِ بِبَلِيَّةٍ وَضناً وَكَربِ

وَسَقَيتِهِ مِن دَمعِكِ ال سَفّاكِ سَكباً بَعدَ سَكبِ

فَنَما الهَوى فيهِ وَشَبَّ وَصارَ مَألِفَ كُلِّ حِبِّ

وَيلي عَلى الريمِ الغَري رِ الشادِنِ الأَحوى الأَقَبِّ

تَترى لَدَيَّ ذُنوبُهُ وَيَجِلُّ في عَينَيهِ ذَنبي

إِن زارَ رَحَّبنا وَإِن زُرناهُ لَم نَحلُل بِرَحبِ[303]

---

[299] ـ عبد السلام بن زغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي، المعروف بديك الجن(161 - 235 هـ):شاعر مجيد، فيه مجون، من شعراء العصر العباسي.سمي بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين. أصله من سلمية (قرب حماة) ومولده ووفاته بحمص (في سورية) لم يفارق بلاد الشام، ولم ينتجع بشعره. له " ديوان شعر - ط " .ينظر ترجمته: وفيات الأعيان 1/ 293.

[300] ـ

[301] ـ

[302] ـ الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكميّ بالولاء، أبو نواس(146 - 198 هـ): شاعر العراق في عصره.ولد في الأهواز ، ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد ، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيها. مولى. وأجود شعره خمرياته. له (ديوان شعر) وديوان آخر سمي (الفكاهة والائتناس في مجون أبي نواس). وفي تاريخي ولادته ووفاته خلاف،.ينظر ترجمته: تهذيب ابن عساكر 4/ 254، ومعاهد التنصيص 1/ 83 .

وهكذا يرسم العين ابن الفارض[304] كانها تجرح وجنة المحبوب الرقيقة الناعمة ، ولكن رغم ذلك يبقى اثرها حسنا ممتزجا بمشاعر الخجل الذى زاد جمال المحبوب جمالا حتى كأنه القمر وذلك حين يقول:

عَيْني جَرَحَتْ وَجْنَتَهُ بالنّظَر من رِقّتِهَا فانْظُرْ لحُسْنِ الأثر

لم أجنِ وقد جَنيتُ وَرْدَ الخَفَر إلاّ لترى كيفَ انشقاقُ القَمَرْ

ما أصنَعُ وَقَدْ أَبْطَأَ عليّ الخَبرُ وَيْلاَهُ إلى مَتَى وكَمْ أَنْتَظِرُ

كم أَحمِلُ كم أكْتُمُ كم أصطَبِرُ يُقْضَى أجلي ولَيْسَ يُقْضَى وَطَرُ

عَوّذْتُ حُبَيّبي بربِ الطُورِ من آفةِ ما يجري منَ المَقْدُورِ

ما قلتُ حُبَيِّبي منَ التحقيرِ بل يَعْذُبُ اسمُ الشيء بالتصغيرِ[305]

ويقول ابن الفارض أيضاً:

كم زارني والدّجى يَرْبدّ من حَنَقٍ والزهْرُ تبسِمُ عن وَجْهِ الذي عَبَسَا

وابتَزَّ قلبيَ قَسراً قُلتُ مَظْلَمةً يا حاكمَ الحبّ هذا القلبُ لِمْ حُبِسا

غَرَسْتُ باللّحظ وَرْداً فوقَ وجنَتِهِ حقٌّ لطَرْفَيَ أنْ يَجني الذي غرسا

فإن أَبَى فالأقاحي منهُ لي عِوَضٌ مَنْ عُوّض الدُّرّ عن زهرٍ فما بخِسا

---

[303] -

[304] - عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين ابن الفارض(576 - 632 هـ): أشعر المتصوفين. يلقب بسلطان العاشقين. في شعره فلسفة تتصل بما يسمى " وحدة الوجود " له" ديوان شعر ".ينظر ترجمته: وفيات الأعيان 1/ 383 ، وشذرات الذهب 5/ 149 – 153.

[305] -

إنْ صالَ صِلُّ عِذَارَيْهِ فلا حَرَجٌ أنْ يجْنِ لَسْعاً وأني أجتَني لَعَسَا

كم باتَ طَوْعَ يدي والوصلُ يجمعُنا في بُرْدَتَيْهِ التّقى لا نعرِفُ الدّنَسا

تلكَ اللّيالي التي أعدَدْتُ من عُمُري معَ الأحِبّةِ كانت كُلّها عُرُسا

لم يحلُ للعينِ شيء بعدَ بُعْدِهِم والقلبُ مُذْ آنس التذكارَ ما أَنِسا

يا جَنّةً فارَقَتْهَا النفسُ مُكْرَهةً لولا التّأسّي بدارِ الخُلْدِ مُتُّ أسى[306]

ويقول أيضاً:

آهاً لِإيّامِنا بالخَيف لو بَقِيَتْ عَشْراً وواهاً عليها كيف لم تَدُمِ

هيهاتِ وا أسَفي لو كان ينفعُني أو كانَ يُجدي على ما فاتَ وا نَدَمي

عنّي إليكُمْ ظِبَاءَ المُنْحَنَى كرَماً عهِدْتُ طَرْفِيَ لم يَنْظرْ لغَيْرِهم

طَوعاً لقاضٍ أتَى في حُكْمِهِ عَجَباً أَفْتى بسَفْكِ دمي في الحِلّ والحَرَمِ

أَصَمَّ لم يسمَعِ الشكوى وأبكَمَ لم يُحِر جواباً وعن حالِ المَشوقِ عمي[307]

يقول أبو الحسن الجرجاني[308]:

يا ليتَ عيني تَحمَّلت ألمكَ بل ليتَ نَفسي تَقسَّمت سَقمَك

وليت كفَّ الطبيب إذ فَصَدَت عرقَكَ أَجرَت مِن ناظِرَيَّ دَمَك

أَعَرتهَ صبغَ وَجنَتَيك كما تُعيرُه إن لثمتَ مَن لَثَمَك

طَرفُك أمضَى من حَدِّ مِضَعه فالَحظ به العِرقَ وارتجز ألمك[309]

يقول الإمام الشافعي:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

ولست بهياب لمن لا يهابني ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا

---

[307] ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: 749هـ)، المجمع الثقافي، أبو ظبي ،الطبعة: الأولى، 1423 هـ، 27/ 565.

[308] ـ علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني، أبو الحسن(ت 392 هـ): قاض من العلماء بالأدب. كثير الرحلات، له شعر حسن. ولد بجرجان وولي قضاءها، ثم قضاء الريّ، فقضاء القضاة. وتوفي بنيسابور، وهو دون السبعين، فحمل تابوته إلى جرجان.من كتبه " الوساطة بين المتنبي وخصومه " و " ديوان شعر " .ينظر ترجمته: وفيات الأعيان 1/ 324 ، ويتيمة الدهر 3/ 238.

[309] ـ الإعجاز والإيجاز: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ) مكتبة القرآن – القاهرة، 83.

فإن تدن مني تدن منك مودتي وإن تنأ عني تلقني عنك نائياً

كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا[310]

يقول الشريف الرضي[311]:

وَرَأَيتُ عَجماءَ الطَلولِ مِنَ البِلى عَن مَنطِقٍ عَرَبِيَّةَ التَبيانِ

باقٍ بِها حَظُّ العُيونِ وَإِنَّما لا حَظَّ فيها اليَومَ لِلآذانِ

وَعَرَفتُ بَينَ بُيوتِ آلِ مُحَرِّقٍ مَأوى القِرى وَمَواقِدَ النيرانِ

يقول خالد الكاتب[312]:

عيني أسأت إلى فؤادي فرمى جفونك بالسهادِ

فابكيهِ وابكي ما عدم ت فلا سبيل إلى رقادِ

وكلتــه بمــدللٍ فرماه في وضح السوادِ

يا عين كيف بذلتي أمكنتِ قلبي من قيادي[313]

شمروخ[314]:

يا مَن بَدائِعُ حُسنِ صورَتِهِ تُثني إِلَيكَ أَعِنَّةَ الحَدَقِ

---

[310] ـ جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العربأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ)، اشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت، 2/ 487.

[311] ـ محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرضي العلويّ الحسيني الموسوي(359 - 406 هـ): أشعر الطالبين، على كثرة المجيدين فيهم. مولده ووفاته في بغداد. انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده.وخلع عليه بالسواد، وجدد له التقليد سنة 403 هـ له (ديوان شعر) في مجلدين، وكتب، منها (الحَسَن من شعر الحسين).ينظر ترجمته: وفيات الأعيان 2/ 2 ، وتاريخ بغداد 2/ 246.

[312] ـ خالد بن يزيد البغداديّ، أبو الهيثم، المعروف بالكاتب(ت 262 هـ): شاعر غزل، من الكتاب. أصله من خراسان، ومولده بها. عاش وتوفي في بغداد. كان أحد كتّاب الجيش في أيام المعتصم العباسي.شعره رقيق، أكثره غزل. له (ديوان).ينظر ترجمته: النجوم الزاهرة 3/ 36 ، وفوات الوفيات 1/ 149.

[314] ـ محمد بن أحمد بن أبي مرة أبو عمارة المكي يلقب بشمروخ متوكلي أكثر شعره في الغزل.ينظر ترجمته:معجم الشعراء ،438/1.

لي مِثْلُ ما لِلناسِ كُلِّهِم نَظَرٌ وَتَسليمٌ عَلى الطُرُقِ

لَكِنَّهُم سَعَدوا بِأَمنِهِمُ وَشَفيتُ حينَ أَراكَ بِالفِرَقِ

سَلِموا مِنَ البَلوى وَلي كَبِدٌ حَرّى وَدَمعَةُ هائِمٍ مَلِقِ[315]

الطغرائى[316]:

إنَّ العيونَ إذا نطقتُ تخاوصتْ نحوي يروقُهُمُ المقالُ الناصِعُ

إنّي إذا انثالَ البيانُ على فمي ما إن أمَلُّ ولا يمَلُّ السامعُ

ومواقفٍ دُحْضِ العَثار وقفتُها بين الخصومِ وللعظام قَعاقِعُ

يُثنى عليّ من العَلاء خناصِرٌ ويُمَدّ نحوي للسَّناءِ أصابِعُ

لا غايتي تُبْغَى ولا في حَلبتي جارٍ ولا في قوسِ فضلِيَ نازعُ

سامٍ على صَهَواتِ مجدي والعِدى متأخِّرٌ أو مُلجَمٌ أو شافِعُ[317]

العين عند السري الرفاء[318] مصدر لنصرة الحروب والموت بل أن جمالها تكاد تحاكى السيوف ، توغلت فيه بالمحبة وقتلته بدون ثأر قديم ، ثم أبت إلا أن تترك بصمتها في قلبه، وان هذه البراقع السوداء تظهر نفاذ هذه العيون وسطوة تأثيرها على كل من يقع بصره عليها.

لَحْظُ عَيْنَيْكَ للرَّدى أنصارُ وسيوفٌ شِفارُها الأشفارُ

فتكَتْ بالمحبِّ من غيرِ ثأرٍ فلها في فؤادِهِ آثارُ

وَقعةٌ باللِّوى استباحَتْ نُفوساً قَمَرَتْها غَرَّاءَها الأقمارُ

ومهاً تَكتُمُ البَراقِعُ مِنْها صُوَراً هُنَّ للعُيونِ صِوارُ

أعربَ البانُ بَينَهنَّ فمن أَثْ مارِه الياسَمينُ والجُلَّنارُ

---

316 ـ الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد، أبو إسماعيل، مؤيد الدين، الأصبهاني الطغرائي(455 - 513 هـ): شاعر، من الوزراء الكتّاب، كان ينعت بالأستاذ. ولد بأصفهان. ونسبة الطغرائي إلى كتابة الطغراء. له (ديوان شعر) وأشهر شعره (لامية العجم)ومطلعها: (أصالة الرأي صانتني عن الخطل).ينظر ترجمته: الأنساب، للسمعاني 543، والوفيات 1/ 159.

318 ـ السري بن أحمد بن السري الكندي، أبو الحسن(ت 366 هـ): شاعر، أديب من أهل الموصل. مدح جماعة من الوزراء والأعيان، ومات ببغداد. وكان عذب الألفاظ. من كتبه (ديوان شعره) و (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب).ينظر ترجمته: وفيات الأعيان 201/1 ، ويتيمة الدهر 1/ 450 – 530.

قد صرَفْنا الأبصارَ عنهنَّ خَوْفاً إذ رَمَتْنا بِلَحْظِها الأبصارُ[319]

ثم يرسم ابن الرومي لوحة الغزل في أرق الصور مستخرجا التحف النفيسة وهو يصف جمال العيون وتأثيرها وسحرها:

نظرت فأقصدتِ الفؤاد بسهمها ثم انثنت عنه فكاد يهيم

ويلاه إن نظرت وأن هي أعرضت وقع السهام ونزعهن أليم

ويقول شوقي ضيف في كتابه العصر العباسي الثاني وينفذ أحمد بن صالح بن أبى فتن إلى معنى دقيق فانه حين ينظر إلى صاحبته تتورد خجلا، فتقتص منه فى قلبه بما تصيبه به من سهام عينيها يقول:

أدميتُ باللحظات وجنتها فاقتص ناظرها من القلب

كما ذكرت سابقا فإن الموضوعات القديمة تجددت من حيث المعاني والتصوير يقول شوقي ضيف أخذت الموضوعات الجديدة تدخلها إضافات متنوعة، كما أخذت فروع من الموضوعات القديمة تستقل وتنمو نموا واسعا حتى لتصبح موضوعات جديدة جدة خالصة ، و أول ما نقف عنده مما تفرع عن الموضوعات القديمة أو تولد منها ، شعر التهاني الذي تحول إليه شعر المديح في بعض جوانبه)) ومع تغير وتطور الموضوعات كانت العين حاضرة في خيال الشعراء بل وزادت أهميتها في توضيح المعاني والوصول إلى لوحات جديدة كان للعين فيها القدح المعلى ، يقول البحتري في وصف أطلال إيوان كسرى ويسمى بالفارسية الجرماز:

فكأن الجرماز من عدم الأنس و أخلاقه بنية رمس

لو تراه علمت أن الليالي جعلت فيه مأتما بعد عرس

تصف العين أنهم جد أحياء لهم بينهم أشارة خـرس

يغتلي فيهم ارتيابي حتى تتقراهم يـداي بلمـس

ويقول على ابن الجهم واصفا قصورا كان يسكنها المتوكل بضواحي سامراء:

صحون تسافر فيها العيون وتحسر على بعد أقطارها

وقبة ملك كأن النجوم تفضي إليها بأسرارها

لها شرفات كأن الربيع كساها الرياض أنوارها

وكما رسم الشعراء للعين عبر خيالهم شتى الصور ، لم يقف وصفهم عند البشر بل تخطى الى سحر الطبيعة ، فلم تبارح العين المعاني ولم تتنازل حتى في شعر الطبيعة عن تأثيرها وتأثرها وكان من عشاق الطبيعة الشاعر ابن الرومي :

لقد رنقت شمس الأصيل ونفضت على الأفق الغربي ورسا مذعذعا
وودعت الدنيا لتقضى نحبها وشول باقي عمرها فتشعشعا
ولاحظت النوار وهى مريضة وقد وضعت خدا إلى الأرض أضرعا
كما لاحظت عواده عين مدنفٍ توجع من أصابه ما توجعـــا

وهو يصور وداع الشمس لجمال الطبيعة وما كان للطبيعة إن تزدهي لولا شعاع الشمس الذي هو حياة الجمال الإخضرار ، فكانت الشمس تمثل الروح للطبيعة ، فما كان من الطبيعة إلا أن ذرفت دموع الوداع ، بعد أن أصابها المرض من جراء حزنها على فراق الشمس

الفصل التاسع

العيون في الشعر الأندلسي

الأندلس جرح في قلب عالمنا الإسلامي والعربي ، وهو ماضٍ إندثر إلا من صفحات التاريخ الذي مازال يذكرنا بالفقد الذي ظل جرحه ينزف ، ولكن قطعا أن الفترة التي استمرت فيها الحياة الإسلامية في شرايين تلك البقاع كان لها مردودها وأن ذلك التأثير العميق في الأدب وتلك الكنوز التي سطرت وملأت الآفاق كانت خيُر شاهد على الإبداع الذي تميز بخصائص جعلته منفردا بتلك الخصوصية الراقية ،ولا يختلف اثنان أن الحياة الاجتماعية كانت صاحبة اليد الطولى في تشكيل الحالة الوجدانية ، ولا يفوتنا أن نذكر أن ذلك التباين والاختلاف الذي صهرته دول الأندلس في قالبها العربي والإسلامي فكان لها من كل نبع قطرة إذا جاز التعبير، فكان النتاج هذا الإبداع الجميل وتلك الحركة الثقافية الثرة التي جعلت للثقافة العربية الأندلسية سمة تختلف عن كل الدول العربية الأخرى ، ولم تكن العين إلا ضمن جوهر الشعر لتبرز كحاسة إنسانية أحيانا وقيمة جمالية لها مدلولها حيناً آخر والأندلس بلاد جميلة خضراء انعكس هذا الجمال على نفسية الشعراء فتباروا فى الوصف لهذه الطبيعة الخلابة يقول ابن الزقاق عن مدينة بلنسية في الأندلس:

بلنسية إذا فكرت فيها وفى آياتها – أسمى البلاد
وأعظم شاهدى منها عليها وأن جمالها للعين بادي

كساها ربها ديباج لها علمان من بحر ووادي

ويقول ابن هذيل[320]:

عجب الوشاة لمهجتي أن لم تذب يوم النوى وتشككت فيما مضى

خفيت لهم من سر صبري آية ما فهمت إلا سليمان الرضا

لله درك ناهجاً سبل الهوى فلمثله أمر الهوى قد فـوضا[321]

يقول الحاجب المصحفي[322]:

لعينيك في قلبي عليّ عيون وبين ضلوعي للشجون شجونُ

لئن كان جسمي مُخلقا في يدي الهوى فحبك غضّ في الفؤاد مضونُ

نصيبي من الدنيا هواك وإنه عذابي ولكنّي عليه ضنينُ[323]

يقول ابن زيدون[324]:

---

[320] ـ يحيى بن أحمد بن إبراهيم بن هذيل التجيبي الغرناطي، أبو زكريا(ت 753 هـ): شاعر مبدع، حكيم. من أهل غرناطة. عاش منزوياً، وصنف " الإيجاز والاعتبار " ، وتولى التعليم في إحدى المدارس إلى أن مات. له " ديوان شعر " سماه " السليمانيات والعرفيات ". ينظر ترجمته: كشف الظنون 206، ونفح الطيب 3/ 258.

[321] ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ)،تحقيف: إحسان عباس، الطبعة: 1997م، 492/5.

[322] ـ جعفر بن عثمان بن نصر، أبو الحسن، الحاجب المعروف بالمصحفي(ت 372 هـ): وزير، أديب، أندلسي، من كبار الكتاب، وله شعر كثير جيد. أصله من بربر بلنسية. استوزره المستنصر الأموي إلى أن مات.ينظر ترجمته: الحلة السيراء 141 – 147، ونفح الطيب 1/ 281 – 286.

[323] ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1/ 403.

[324] ـ أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون، المخزومي الأندلسي، أبو الوليد(394 - 463 هـ): وزير كاتب شاعر، من أهل قرطبة. توفي بأشبيلية في أيام المعتمد على الله بن المعتضد. وهو صاحب (رسالة ابن زيدون) التهكمية.ينظر ترجمته: وفيات الأعيان 1/ 43، وآداب اللغة 3/ 54.

ألا ليتَ شعري هلْ أصادِفُ خلوة ً لَديكِ، فأشْكو بعضَ ما أنا وَاجِدُ؟
رعى اللهُ يوماً فيهِ أشكُو صبابَتي، وأجفانُ عيني، بالدّموعِ، شواهدُ[325]

أبو حازم القرطاجني[326]:

نبّه جفونك للصَّبوحِ وأُيقِظِ وانظرْ نهايةَ كلِّ حسنٍ والحظ
واعجبي لأدهَم بالمغارب مُجْفلٍ قدْ أمَّ أَشهبَ بالمشارق ألمظ
والدَّهر كالحدق النواعِس سحْرَةً والزهرُ مثلُ الناظر المتيقّظ
والصُّبحُ يُشرقُ شَرْقُهُ من فَيْضهِ والشُّهْبُ فيه كالنفوس القيَّظ
وبدتْ على الشَّفَق النجومُ كأَنَّها شَرَرٌ تطايرَ عن حَريقٍ مُلتظ[327]

يقول صفى الدين الحلي[328]:

ما رَمِدَت عَيناكَ إلّا لِفَرطِ ما أَصَرَّ عَلى كَسرِ القُلوبِ اِنكِسارُها
أَراقَت دَمَ العُشّاقِ في مَعرَكِ الهَوى فَصارَ اِحمِراراً في الجُفونِ اِحوِرارُها[329]

عبد العزيز القشتالي[330]:

إنسانُ عَيني هامَ ما إن يُفيق لَمّا رَأى بِالعَينِ سَفحَ العَقيق
يَسبَحُ في بَحرٍ طَما لُجُّهُ أَضحى يُنادي مِنهُ يا لِلغَريق
ماءٌ وَنارٌ زُجَّ بَينَهُما يا لَكَ إنسانٌ غَريقٌ حَريق[331]

أبو فرج الحياني[332]:

جُعِلَت مُهجَتِي الفداءَ لغصن=إن تَثَنَّى ثَنَى القلُوبَ لديهِ
كلما لاح وجهُهُ في مكانٍ =كثرت رحمةُ العيونِ عليهِ

---

326 ـ حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن(608 - 684 هـ): أديب من العلماء له شعر. من أهل قرطاجنة .ينظر ترجمته: نفح الطيب 1/ 627 ، وأزهار الرياض 3/ 172.

328 ـ عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم السنبسي الطائي(677 - 750 هـ):شاعر عصره. ولد ونشأ في الحلة (بين الكوفة وبغداد) واشتغل بالتجارة، فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها، في تجارته، ويعود إلى العراق.له " ديوان شعر " و " العاطل الحالي ".ينظر ترجمته: الدر الكامنة 2/ 369، وفوات الوفيات 1/ 279.

جُعِلَت مُهجَتِي الفداءَ لغصن إن تَثَنَّى ثَنَى القلُوبَ لديهِ[333]

الشاعرة ام الهناء القاضي في أبيات غزلية رقيقة بعيدة عن هجر القول تحمل في حواشيها حياء العذارى وبراءة الغرائر فتقول:-

جاء الكتاب من الحبيب بانه سيزورنى فاستعبرت اجفـانى

غلب السرور على حتى انه من عظم فرط مسرتى ابكانى

ياعين صار الدمع عندك عادة تبكي نفى فرح وفى احزانى

فاستقبلى بالبشر يوم لقائه ودعى الدموع لليلة الهجران

قال ابن حمديس[334]:

نظرتُ إلى حُسْنِ الرياض، وغيمُها جَرَى دَمْعُهُ منهنّ في أعين الزّهْرِ

فَلَمْ تَرَ عَيني بينهما كشقائقٍ تبلبلها الأرواح في القضب الخضر

كما مشطتْ غيدُ القيان شعورها وقامتْ لرقْصٍ في غلائلها الحُمْر[335]

ويقول أيضاً:

لسكونِ الغرامِ منه حراكٌ ولميتِ السقام فيه نشور

ألبسَ الله صورة ً منكَ حسناً وعيونُ الحسانِ نحوكِ صور

لكِ عينٌ إنْ ينبعِ السحرُ منها فهو بالخَبْلِ في العقول يغور

وجفونٌ تشير بالحبّ، منها عن فؤادٍ إلى فؤادٍ سفيرُ

وقعتْ لحظة ٌ على القلب منها أفلا يترك الحشا ويطير[336]

---

[334] ـ عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي، أبو محمد(ت 527 هـ): شاعر مبدع. ولد وتعلم في جزيرة صقلّيّة، ورحل إلى الأندلس سنة 471 هـ فمدح المعتمد بن عباد، فأجزل له عطاياه.وانتقل إلى إفريقية سنة 484 هـ فمدح صاحبها يحيى بن تميم الصنهاجي، وتوفي بجزيرة ميورقة، عن نحو 80 عاماً، وقد فقد بصره. له (ديوان شعر).ينظر ترجمته: وفيات الأعيان 1: 302 ، وفي دائرة المعارف الإسلامية 1/ 145.

ولادة بنت المستكفى[337]:

لحاظُكم تجرحُنا في الحشا وَلَحظنا يجرحكم في الخدود

جرح بجرحٍ فاِجعلوا ذا بذا فما الّذي أوجبَ جرح الصدود[338]

يوسف بن هارون الرمادي[339]:

وَلَيلة لمةٍ تبقى العُيونُ ال رَوامقُ مِن دُجاها في ضَلالِ

وَكُنتُ عَن اللَّيالي غَيرَ راضٍ بِحالٍ إِذ جَنَت تَغييرَ حالي

فَلَمّا أَن رَأَيتُ اللَّيلَ شِبهاً لِلِمَّتِهِ رَضِيتُ عَنِ اللَّيالي[340]

على الحضري القيرواني[341] يرثى احد ابنائه ويصفه بنور العين:

يا نورَ عَيني فَقَدتُهُ وَفي الفُؤادِ وَجَدتُه

يا كَوكَباً لَقَّبوني بِالبَدرِ يَومَ وَلَدتُه

لَم يَهدِ رَكبي سَناهُ حَتّى خَبا فَلحدتُه

يا طَيّباً زافَ عِندي سِواهُ لَمّا نَقَدتُه[342]

ابن دراج القسطلي[343]:

---

337 ـ ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن الأموي(ت 484 هـ): شاعرة أندلسية، من بيت الخلافة. كانت تخالط الشعراء وتساجلهم. اشتهرت بأخبارها مع الوزيرين ابن زيدون وابن عبدوس، وكانا يهويانها، وهي تود الأول وتكره الثاني. توفيت بقرطبة.ينظر ترجمته: نفح الطيب 2/ 1097، والدر المنثور 545.

338 ـ المطرب من أشعار أهل المغرب: أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي الشهير بابن دحية الكلبي (المتوفى: 633هـ)، بتحقيق: الأستاذ إبراهيم الأبياري، الدكتور حامد عبد المجيد، الدكتور أحمد أحمد بدوي، راجعه: الدكتور طه حسين، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1374 هـ - 1955 م، 6.

339 ـ يوسف بن هارون الكندي الرمادي، أبو عمر(ت 403 هـ): شاعر أندلسي، عالي الطبقة، من مدّاح المنصور بن أبي عامر. أصله من رمادة، ومولده ووفاته بقرطبة. له كتاب " الطير ".ينظر ترجمته: جذوة المقتبس 346 - 349 ، والمغرب في حلى المغرب 1/ 392.

340 ـ كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس: أبو عبد الله محمد بن الحسن الكتاني الطبيب (ت: نحو 420هـ)، : إحسان عباس، الطبعة: 2، 1981 م، دار الشروق، بيروت – القاهرة، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، 121.

341 ـ الأديب، العلامة، أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري، القيرواني، الحصري، المقرئ، الضرير، من كبار الشعراء، وله تصانيف في القراءات.وقد مدح الملوك، وأخذ جوائزهم، وله في ابن عباد قصائد، ونظمه عذب جزل .اتفق موته: بطنجة، سنة ثمان وثمانين وأربع مائة.ينظر ترجمته:سير إعلام النبلاء 27/19.

وعَلِيلُ لَحْظِ الطَّرْفِ أَعدى طَرْفُهُ قَلْبي بداءٍ لا يُفيقُ عليلُهُ

سَلَبَ المَلاحَةَ فِي الظِّباءِ وَفِي المَهَا حَتَّى اسْتَبَدَّ بجِزْئِها تكميلُهُ

أَنَفاً لِمَنْ سَكَنَ التَّرَائِبَ أَنْ يُرى يَطَأُ التُّرابَ شَبِيهُهُ ومَثيلُهُ

ولقد حَفِظْتُ لَهُ أَمانَةَ لاعِجٍ بالشَّوْقِ يَغْلي فِي الفؤادِ غليلُهُ

وضَرَبْتُ من دَمْعِي عَلَى خَدِّي لَهُ غُرْماً غرامِي بالقَضَاءِ كَفِيلُهُ

فَلَئِنْ صَبَوْتُ فَلسْتُ أَوَّلَ عاشِقٍ تَبعَ الهَوى فَهَوى بِهِ تضليلُهُ

ولئِنْ صبرْتُ فلَسْتُ بِدعَ مُفَارِقٍ غَالَتْ حَبِيبَ النَّفْسِ عَنْهُ غُولُهُ

ولئِنْ سَلَوْتُ فَأَيُّ أُسْوَةِ واعِظٍ أَلْهاهُ عن قَمَرِ السَّمَاءِ أُفُولُهُ

أبى البقاء الرندي[344] الذى استفزته العيون الحوراء تكاد تجرح خده الألحاظ حين تنظر اليه ، بل يكاد المحبوب من روعته أن يكون فمرا منيرا تتصاغر الكواكب حوله خجلا وحياء :

وناضر الخد في ألحاظه حور تكاد تجرحه الألحاظ بالنظر

كأن خيلانه في حسن صفحته كواكب كسفت في دارة القمر[345]

ابن خاتمة الأندلسي[346]:

أقولُ وعَيْنُ الدَّمع نصْبُ عُيونِنا ولاحَ لِبُستانِ الوزارِة جانِبُ

أهذي سَماءٌ أمْ بِناءٌ سَما بهِ كواكبُ غضَّتْ عن سَناها الكواكبُ

تناظرتِ الأشكالُ منهُ تَقابلاً على السَّعد وُسْطى عِقْدِه والحبائبُ

وقد جَرَتِ الأمواهُ فيهِ مَجرَّةً مذانِبُها شُهْبٌ لَهُنَّ ذوائبُ

وأشْرَفَ من علياه بَهْوٌ تَحفُّه شماسِيْ زُجاجٍ وشْيُها مُتَناسبُ

---

[343] ـ أحمد بن محمد بن العاصي بن دَرَّاج القَسْطلي الأندلسي، أبو عمر(347 - 421 هـ): شاعر كاتب من أهل (قَسْطَلَّة دَرّاج). له (ديوان شعر).ينظر ترجمته: النجوم الزاهرة 4/ 272 ، وبغية الملتمس 147.

[344] ـ صالح بن يزيد (أبي الحسن) بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف، أبو الطيب وأبو البقاء النفزي الرندي(601 - 684 هـ): شاعر أندلسي. من القضاة له علم بالحساب والفرائض. من قبيلة نفزة البربرية. من أهل رندة. ألف (الوافي في علم القوافي) و (روضة الأنس ونزهة النفس).ينظر ترجمته: الذيل والتكملة لابن عبد الملك 136/4، ونفح الطيب 2/ 595.

[345] ـ خ

[346] ـ أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة، أبو جعفر الأنصاري الأندلسي(ت بعد 770 هـ): طبيب مؤرخ من الأدباء البلغاء. من أهل المريّة من كتبه (مزية المريّة على غيرها من البلاد الأندلسية) ، و (رائق التحلية في فائق التورية).ينظر ترجمته: الإحاطة 1/ 114 - 129 ، وغاية النهاية 1/ 87.

يُطلُّ على ماءٍ به الآسُ دائراً كما افْتَرَّ ثَغرٌ أو كما اخضرَّ شاربُ[347]

أبو الوليد الحميري[348] فى صور بلاغية رقيقة من جناس بين كلمة حمام وحم ، فهو يصف نظر معشوقه بالموت الذى اقترب منه ودنى ، ثم يطلب من المحبوب مستجديا أن ينقذه ولو بابتسامة تمنحه معانى الحياة ، وفى جناس بين كلمتى قاض وقاضى ، فهو مقتول بداء الهوى ورغم انه المجنى عليه إلا ان قاضى جماله لم يحكم عليه بالعدل والانصاف .

حِمَامٌ بلحظك قد حُمَّ لي فما زال يهدي إلى مقتلي

وإن لم تغثني بمعنى الحياة من ريق مبسمك السلسلِ

فها أنا قاض بداء الهوى وقاضي جمالك لم يعدلِ

فيا ليت قبري حيث الهوى فاكرِم بذلك من منزلِ

عسى من تلفتُ بحبي له يرقّ على ذي بلاءٍ بُلِي[349]

إن النظر يحرك الافئدة ، ويجلب العشق ويسيطر على الوجدان ، بل من خلال هذه النظرة يمتلك المحبوب حبيبه حتى يصرح الحبيب الى إن ناظر الطرف قطعة من كبده او هكذا يقول عبد الكريم البسطي[350]:

يا ناظرَ الطرفِ بل يا قطعَةَ الكبدِ وموضِعَ الحبّ في قُربِي وفي بُعدِي

ومَنْ هواهُ لدى القلب المَشوقِ غدا في كلّ آونةٍ كالروح من جسدي

لولا اشتياقي إلى أنوار غُرَّتِكُمْ ما كنتُ أشكو عَنَى أسري إلى أحَدِ

وما اشتكتْ مُهْجَتي بالنّار تُحرِقُها ولا اشتكت مُقلتي بالدمع والسُّهُدِ

فاعذرْ فديتُكَ مَنْ أَبدى شكايتَه عَمْداً وباح بما يَلقى من الكَمَدِ

فالشّوقُ والأسْرُ لا يخفى بَلاؤُهُما مَنْ فاق كلَّ الورى في الصّبر والجَلَدِ[351]

---

[347] ـ الإحاطة في أخبار غرناطة: محمد بن عبد الله بن سعيد السليماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت: 776هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 هـ،1/ 118.

[348] ـ إسماعيل بن محمد بن أحمد بن عامر الحميري نسبا الأشبيلي سكناً، أبو الوليد(ت 440 هـ): وزير أندلسي من الكتّاب. من أهل أشبيلية. له شعر كثير. عاش 22 سنة. وتوفي بأشبيلية.ينظر ترجمته: بغية الملتمس 213 ، وجذوة المقتبس 152.

إبن لبانة الداني[352] يصف هول الفراق وشجونه كأنه ليل يقف امام العين فلا تري الا السواد والحزن ، وهو يمضى واصفا حاله التى اصبحت اشبه بالتنور الذى تحيط به النيران ، ثم يطلب من المحبوب الترفق به، فقد انسكبت الدموع منه حتى بلغت فوق مايحتمل ، كيف لا وعيون المحبوب أمضى من السيف الحاد الاطراف:

وقف الفراق أمام عيني غيهبا فقعدت لا أدري لنفسي مذهبا
يا موقداً بجوانحي نار الآسي رفقاً فماء الدمع قد بلغ الزبى
أجلى من السيف الصقيل المنتضى صفحاً وأمضى من ظباه مضربا
جاورته فلقطت منه جوهراً ونظرته فقبستُ منه كوكبا[353]

ابن عبده ربه الأندلسي[354] يعاتب عينه التي أوقعته في شرك الحب والغرام ، إن ما قد جلبته له تلك النظرة، يعانى مرارة ذلك قلبه الذي سكنه العشق فكانت تلك النظرة شؤم عليه:

عَيْنَيَّ كَيْفَ غَرَرْتُما قَلْبي وَأَبحْتُماهُ لَوْعَةَ الحُبِّ
يَا نَظْرَةً أَذْكَتْ على كبِدي ناراً قَضَيْتُ بِحَرِّهَا نَحْبي
خَلُّوا جَوَى قَلبي أُكابِدُهُ حَسْبي مُكابَدَةُ الجَوى حَسْبي
عَيني جَنَتْ مِنْ شُؤْمِ نَظْرَتِهَا ما لا دَوَاءَ لَهُ على قلبي[355]

ولم تغيب العيون وسطوتها فى شعر ابن أبى البشر[356] وهو يصف جمالها الفتاك ، انها مصدر للتحدى لمن يثق فى ثبات فؤاده ، وكأنه يجعل من العيون ساحة للوغى والمواجهة القتالية :

هذي العيون وهذه الحَدَقُ فليَدنُ من بفؤاده يَثِقُ
لو أنهم عَشِقوا لما عذلوا لكنهم عذلوا وما عشقوا
عنفوا عليَّ بلومهم سفهاً لو جُرِّعوا كأس الهوى رفقوا

---

354 ـ أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم، أبو عمر(246 - 328 هـ): الأديب الإمام صاحب العقد الفريد. من أهل قرطبة.له شعر كثير. له (العقد الفريد) فمن أشهر كتب الأدب.وأصيب بالفالج قبل وفاته بأيام. ينظر ترجمته: بغية الملتمس 137 ، والبداية والنهاية 11/ 193.

355 ـ العقد الفريد،6/ 302.

356 ـ ابن أبي البشر الصقلي علي بن عبد الرحمن ابن أبي البشر الصقلي الكاتب من الطارئين على مصر من شعره في الشريف فخر الدولة النقيب. ينظر ترجمته:الوافي بالوفيات، 31/ 149.

ما الحبُّ إلاّ مسلك خَطِرٌ عَسِرُ النجاة وموطِىءٌ زَلِقُ[357]

العيون و الموشحات الاندلسية:-

يقول الدكتور مصطفى الشكعه فى كتابه الأدب الأندلسي (انقسم دارسو الأدب الأندلسي إلى فريقين متعارضين، فريق يرى أن الموشحات ليست في مبناها ومضمونها إلا صدى لضرب من الشعر الاسباني عرفه سكان شبه الجزيرة الايبيرية قبل دخول العرب الأندلس، وفريق يرى ان الموشحات ليست الا تطورا طبيعيا للشعر العربي الذي كان فى سيرته الطويلة متطورا فى اشكاله وموضوعاته)

أن الفريق الذي يرى أن الموشحات اسبانية الاصل يتزعمه المستشرق الاسباني خوليان ريبيبرا RIBERA وجارسيا جومز GARCIA GOMEZ والحقيقة أن الشعر كفن راقي وهو في محصلته تراث عالمي لبنى الانسان ، فالسؤال هنا هل هناك بأس أو عيب أن يضيف أو يأخذ فن من آخر؟

الذي يعنينا في هذا الجانب ان العين كغيرها من المفردات ذات الثقل المؤثر في رسم اللوحات الشعرية، نجد أن لها التأثير والتأثر الرقيق والعميق والمميز في شعر الموشحات الأندلسية ، وظلت تسقي أرض الشعراء فتزداد خصوبة وعطاء، ولايتغير تأيرها القوي حتى ولو تطورت أو تلاقحت المعانى بافكار جديدة ، ومن هنا رأيت أن أعرض بعض النماذج من هذه الموشحات التي تغنت للعين:

يتأمل الشاعر جمال محبوبته فيصفها بالبدور وهى ترسل الأنوارا ، ثم لم يلبث أن اذعن لهذا الجمال ، حين قال أن قلبه مغلوب على امره بعد أن أصبح فريسة للحسن ، فقد وقع فريسة الحب والاعجاب عندما نظر إلى ذلك الممدوح ، أنه الشاعر الاندلسي لسان الدين الخطيب في موشحته المشهورة وهو يمدح الغني بالله:

يابدورا اطلعت يوم النوى

غررا تسلك فى نهج الغرر

مالقلبى فى الهوى ذنب سوى

[357] ـ مصارع العشاق: جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري البغدادي، أبو محمد (ت: 500هـ)،دار صادر، بيروت، 2/ 69.

منكم الحسن ومن عيني النظر

اجتنى اللذات مكلوم الجوى

والتذاذي من حبيبي بالفكر

ويقول الشاعر الطبيب الوشاح أبوبكر محمد بن زهر الذي عمر طويلا وعاش صدر حياته في الأندلس وبقيتها في مراكش، وموشحاته من أرق ماكتب في هذا الفن ، وهو يخاطب عينه التى شفيت بالنظر الى المحبوب ، ولما كان التأثير قويا لم يتأثر بضوء القمر بعد رؤيته المحبوب :

ما لعيني شفيت بالنظر

انكرت بعدك ضوء القمر

فاذا شئت فاسمع خبرى

عشيت عيناي من طول البكا

وبكى بعضي على بعضي معي

قد يرانى في هواك الكمد

يالقومي عذلوا واجتهدوا

انكروا شكواي مما اجد

قد نما حبك عندي وزكا

لايظن الحب انى مدعى

الفصل العاشر

العيون في شعر العصر الفاطمي الأيوبي والمملوكي

لاشك أن الشعر يدون تاريخ الحقب الزمنية ، وهو يظهر القيمة الأبداعية من خلال تلك المفردات وماتبنيه من خيال وفكرة ، ولم تكن العين بعيدة بل ظلت تحرك الوجدان فى صور شتى وهاهي بعض من نماذج كانت العين فيها المحرك المستفز فلعبت دورها الأبداعى بين التأثير والتأثر :

يقول ناصح الدين الأرجاني[358] وهو يشتكى من سهام النظر التى تعرف كيف تصيب فى مقتل وان الامر الاكثر غرابة وعجبا فى الحب ، ان هناك من يبيت مثل الجمر من الصبابة والوجد ولكنه ايضا يكاد يذوب شوقا من الحب :

ما زال سَهْمُ اللَّحظِ يجْرحُهُ حتّى تَضاعفَ فوقه الزَّردُ

ومنَ العجائبِ والهوى عَجبٌ جمْرٌ يَبيتُ يُذيبُهُ البَرَد

ابن سناء الملك يظهر عيون الاتراك وكانها سيوف الهند، وما شهرت السيوف الا من اجل الأذى اوالقتل والفتك ويقول ابن سناء الملك ، فانت فى لك بين خيارين أما الاول أن تكون مقداما وتتحمل النتيجة الحتمية ، اوتستسلم لهذه العيون القاتلة ويكون مصيرك الهلاك :

حَذَارِ سيوفَ الهندِ من أَعْينِ التُّركِ فما شُهِرتْ إلا لتُؤذِنَ بالفَتْكِ

وإيَّاكَ من تلكَ القدود لأَنَّها رِماحٌ أُعِدَّت للطَّعانِ بلا شَكِّ

فإن كنتَ مقداماً على البيضِ والقَنا وإلاَّ فقد عرّضْت نفسك للهُلْكِ

ويقول في مكاناً آخر:

---

[358] ـ أحمد بن محمد بن الحسين، أبو بكر، ناصح الدين، الأرجاني(460 - 544 هـ): شاعر، في شعره رقة وحكمة.ولي القضاء بتستر وعسكر مكرم وكان في صباه بالمدرسة النظامية باصبهان. جمع ابن بعض شعره في (ديوان) توفي بتستر. نقل ابن خلكان عن الخريدة أن الأرجاني عربي المحتد، سلفه القديم من الأنصار . معاهد التنصيص 3: 41 والمنتظم 1: 139 والوفيات 1: 47 (2) أعمال الأعلام 290 – 292.

ابن سناء الملك يصف ممدوحه الذى كحل العيون بمرود اصفر اللون كأنه العسل ، والذى يدل على العناية والاهتمام ، ثم نظر مرآة مجلوة صافية يتمكن الارمد ان يرى من خلالها بكل جلاء ووضوح، بل ان من ينظر اليه خلال تلك المرآة ، كانه يرى متعبد خلوق يقف أمام القبلة متبتلا عابدا فى ادب وخشوع :

كحلَ العيونَ بمرودٍ مِن عسْجدِ فيه الذوائِبُ واللَّمى كالإثمد

فرأَى وعاينَ وجْهَه في جنَّةٍ تُجلى فتَجلو نور عين الأَرْمَدِ

ورأَى بها المشْتاقُ صفرةَ لونِه مثلَ الخَلوقِ بقُبلةٍ في مسْجِد

بأَبي وأُمِّي من يكونُ المكتِفي بجماله لجماله كالْمُقْتَدِي

مستوحشٌ متفردٌ في حسنهِ لا تعجبنَّ لوحْشَةِ المتَفَرّدِ

وكأَنَّه من دلِّهِ وحيائِه غيداءُ لكِن في شَمائِل أَغْيدِ

ومع الحياءِ يُريك عيْنَيْ مارِدٍ بالفَتْكِ لكنْ بيْن صُدْغَي أَمْرِدِ

ابن الجزري[359] يتغنى لعيون الحسناء ، فيصفهن بالسيوف البيضاء ، والقدود كأنهن الرماح ، ثم يقول ان اى نظرة من تلك العيون كافية بأن تفعل فعل السلاح القاتل :

أعيونهن أم بيض الصفاح وقدودهن أم سمر الرماح

فأراها إن رنت أو خطرت في الحشا تفعل أفعال السلاح

ويقول ابن الجزري أيضاً في العيون:

استفتيا في قتلتي عينا رشا معوّذ

قلت اكففا ويلكما قد قضي الأمر الذي

يقول ابن رشيق القيروان:

وَظَبْيٍ مِنْ بَني الْكُتَّابِ يَسْبي قُلُوبَ العاشِقينَ بِمُقْلَتَيْهِ

رَفَعْتُ الَيْهِ أَسْتَقْضي رِضاهُ وَأَسْأَلُهُ خَلاصاً مِنْ يَدَيْهِ

[359] ـ محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، العمري الدمشقيّ ثم الشيرازي الشافعيّ، الشهير بابن الجزري(751 - 833 هـ): شيخ الإقراء في زمانه. من حفاظ الحديث. ولد ونشأ في دمشق، وابتنى فيها مدرسة سماها (دار القرآن). من كتبه (النشر في القرآآت العشر) ، و (غاية النهاية في طبقات القراء) ، و (المقدمة الجزرية).ينظر ترجمته: طبقات الحفاظ للسيوطي 3/ 85، ومفتاح السعادة 1/ 392.

فَوَقَّعَ قَدْ رَدَدْتُ فُؤَادَ هَذا مُسامَحَةً فلا يُعْدَى عَلَيْهِ

ويقول أيضاً:

أَسْلَمَني حُبُّ سُلَيْمانِكُم إلى هَوَىً أَيْسَرُهُ القَتْلُ

قالَتْ لَنا جِنْد مَلاَحاتِهِ لمَّا بَدا ما قالَتِ النَّمْلُ

قُوموا ادْخُلوا مَسْكِنَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحطِمَكُم أَعْيُنُهُ النُّجْلُ

البهاء زهير:

يا مَن لِعَينٍ أَرِقَت أَوحَشَها مَن عَشِقَت

مُذ فارَقَت أَحبابَها لَها جُفونٌ ما اِلتَقَت

وَغـــادَةٍ كَأَنَّـــها َمسُ الضُحى تَأَلَّقَت

كَم شَـرِقَت بِدَمعِها عَينَيَ لَمّـا أَشرَقَت

رومِيَّـةٌ أَلحاظُها مِثلُ سِهـــامٍ رُشِـــقَت

مَمشوقَةُ القَـدِّ لَها صُـدغٌ كَنونٍ مُشِقَت

أَما تَرى الغُصونَ مِن خَجلَتِهـا قَد أَطرَقَت

قَد جَمَعَت حُسناً بِهِ أَلبـابُنا تَفَرَّقَت

ما تَرَكَت لي رَمَقـاً مُقلَتُـها إذ رَمَقَت

لِمُهجَتي وَعَبـرَتي قَد قَيَّـدَت وَأَطلَقَـت

تقول الشاعرة فاطمة الخشاب :

إن كان غركم جمال إزاري فالقبح في تلك المحاسن واري

لا تحسبوا أني أماثل شعركم أنى تقاس جداول ببحار

لو عاصر الكندي عصركم رمى لكم عوالي راية الأشعار

أقصى اجتهادي فهم ظاهر نظمكم لا أنني أدعى دعاء مجار

من قصرت عنه الفحول فحقه أن ليس يبلغه لحاق جواري

ولربما استحسنت غير حقيقة فإذا سفرت أشحت بالأبصار

لست الطموح إلى الصبا من بعدما وضح المشيب بلمتي كنهاري

ويقول ابن نباتة المصري[360]:

تجني لواحِظه عليَّ وتعتب بالروح يفدَى الظالم المتغضب

آهاً له ذهبيّ خدٍّ مشرقٍ ما دونه لعديم لُب مذهب

متلوّن الأخلاق مثل مدامِعي والقلبُ مثل خدوده ملتهِب

يعطو كما يعطو الغزال لعاشقٍ ويروغ عنه كما يروغ الثعلب

تاج الملوك الأيوبي:

يا هلالاً لاحَ في غُصُنٍ تُشرِقُ الدنيا بطلعتِهِ

وغزالاً طال ما خضع ال أسدُ الضاري لهيبته

صِل عليلاً أنت أعلم من كلِّ مخلوقٍ بعلَّتِهِ

قد أطالت مُقلتاك بلا سببٍ تعذيبَ مهجتهِ

وكما تفعل العين بالعشاق ، وقف نظام الدين الأصفهاني امام هيبة جمالها وقوة تأثيرها ، فيخاطب محبوبته ما اكثر قتلاك وعيونك مصيدة فأجابته هل يسلم من عيونى ناج .

نادَيتُ وَقَد رَنت بِطَرفٍ ساجِ تُزهى بِجمالِ مَنظَرٍ وَهّاجِ

ما أَكثَرَ قَتلاكَ بعين مرضت قالَت أَترى يَسلمُ مِنها ناجِ

ويقول نظام الدين أيضاً:

في العَينِ جَمالُ وجنتيها باقِ لا يَغسله الدَمعُ من الآفاق

لَم تنصبغِ الدُموعُ حُمراً إلّا مِن حمرةِ خَدّهنَّ في الأَحداقِ

يقول ابن خلكان:

قل لي بأي وسيلة أولي بها إن كنت تبعدني لأجل تقربي

وحياة وجهك وهو بدر طالع وجمال طرتك التي كالغيهب

---

[360] ـ محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقيّ المصري، أبو بكر، جمال الدين، ابن نباتة(686 - 768 هـ): شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب. أصله من ميافارقين، ومولده ووفاته في القاهرة. له (ديوان شعر) و (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون).ينظر ترجمته:حسن المحاضرة 1/ 329 ، والبداية والنهاية 14/ 322.

وتفور مقلتك التي قد أذعنت لكمال بهجتها عيون العتب

وبياض مبسمك النقي الواضح العذب الشهي اللؤلؤي الأشنب

ولم يجد ابن مليك الحموي مفرا من العين ، رغم انه استرسل فى الوصف تارة بالغصون وتارة اخرى بطلعة القمر، ثم يأتى فى البيت الثانى ليقول اين يجد الغصن ذلك القد الاهيف ، وكيف يجد الظبى ذلك الحور الجميل :

يا ظبية البان يا غصن النقا النضر استغفر الله بل يا طلعة القمر

من ابن للغصن ما بالقد من هيف من ابن للظبي ما باللحظ من حور

يا من إذا ما تبدت فالحسان لها بالحسن تشهد في بدو وفي حضر

ما ضر لو أن لي أهديت بعض كرى وكنت قابلته حملا على بصري

وتسحر العيون شهاب الدين الخزرجي الذى يصف محبوبه بالساحر الذى لن يتمكن الفكاك من تأثيره :

هَوَيتُهُ ساحراً باللّحظِ يَسحرُني بهِ يهيجُ قلبي لا بأسماءِ

وَالخصرُ يكتبُ من سحرٍ تعلَّمَه منَ السَّقامِ بِجِسمي بابَ إخفاءِ

ونجد بعض من الشعراء تناولوا سطوة العين واذعنوا لسلطان جمالها وتأثيرها فكانت عندهم سهام فتاكة كما هو حال ابن الساعات:

رمتني بنجل والسهام جفونُ عيونٌ دموعي بعدهنَّ عيونُ

وهزَّ الصّبي منهنَّ في معرك النّوى قدودَ قناً قلبي بهنَّ طعين

وحدّثتماني عن عيون ظبائه فحسبكما أنَّ الحديث شجون

أحنُّ إلى وادي الأراك من الحمى وهيهات من وادي الأراك حنين

أما كاظم الأزري يذهب بعيدا بخياله وغرامه ويصبح عنده الخوف المحبب إلى النفس المشتاقة وهو مستغرق في عشقه لنظرات العين لينتقل عبر اللحاظ إلى صورة رائعة آخرى تمثلت في الجفون التي اطلت كأنها ورداً يحسده الورد:

لولا المخافة من ظبى لحظاته لجنيت وردا لاح في وجناته

الورد يحسده لحمرة خدّه والغصن منعطف على حركاته

غفل الرقيب ففزت منه بنظرة يا ليته قد دام في غفلاته

قالوا تسلّا عن هواه بغيره واعشق سواه فقلت لا وحياتهِ

يا خجلة الأغصان منه إذا بدا وفضيحة الغزالان من لفتاته

صلاح الدين الصفدي:

لله ذاك الطرفُ كم فيه من حيفٍ على الصب ومن حين

لما حفظت السحر من جفنه نظمت حرف النون في العين

يقول ابن الوردي :

يا مَنْ همْ للعينِ قرَّهْ ولبيتِهِمْ قدرٌ وقدرهْ

مُنُّوا علينا واحضروا فحضورُكم أصلُ المسرَّهْ

الصاحب شرف الدين :

ما لِطَرْفي حينَ أُعْذَلْ يُطْلِقُ الدَّمعَ المُسَلْسَلْ

أَدبَرَ العاذلُ عنِّي مُوقناً أَنْ لَسْتُ أَقْبَلْ

وَجَدَ الصَّبرَ جَميلاً ووَجَدْتُ الوَجْدَ أَجْملْ

فَتَنَتْ عيْنُ غزالٍ بَعْثَرَتْ مَنْ يَتَغَزَّلْ

سراج الدين الوراق :

وذي رَمَدٍ ثَناني دُونَ سَعْيٍ لِبابِكَ بالثَّناءِ وبالهَنَـــاءِ

وأَرجو أَنْ يَعُودَ ضِياءُ عَيني لَها فَيُمدَّها نُورُ الضِّيا

ويقول الوراق في موضع آخر:

شَكَارَ قَد آلَيْتَ عَيْني فِداهُ فَقَلْبُ المُتيّمِ قَلْبٌ شَفِيقُ

وَقالَ أَمِنْتُ بِشِعْريتي وَبيني وَبينَكُمُ سِتْرٌ رَقِيقُ

وَمَا سَرْدُ داودَ مِنى يَقِيكَ وَأَنتَ بِأَسهُمِ لَحظي رَشِيقُ

ابن المقرب العيوني يخاطب نفسه التي تخفي الحب والصبابة ولكن تتمرد عيونه عشقا وهي تسترق النظر من المحبوب ويعاتب نفسه التي تظهر الزهد بين الناس كانه لون من الوان التمويه والخداع :

تُخفي الصَبابَةَ وَالأَلحاظُ تُبدِيها وَتُظهِرُ الزُهدَ بَينَ الناسِ تَمويها

وَتَستُرُ الحُبَّ كَيما لا يُقالُ صَبا شَيخاً فَتُعلِنُهُ الأَنفاسُ تَنويها

يا عاشِقاً تَلِفَت في العِشقِ مُهجتُهُ كِتمانُكَ الحُبَّ في الأَحشاءِ يُؤذِيها

بُح بِالهَوى وَاِصحَب العُشّاقَ مُنهَتِكاً وَلا تُطِع غَيرَ غاويها وَمُغوِيها

وَاِضرِب عَنِ التِيهِ صَفحاً وَاِلغِ صُحبَتَهُ ما أَحمَقَ العاشِقَ المُستَصحِبَ التِيها

ابن عطاء الله :

يا عُيوناً بِاللِوى ساهرةً حرَّم اللهُ عليكِ الفِكَرا

أنا في نارِ اِشتِياقي مُحرَقٌ وَوُشاتي تَستَطيب السَمَرا

والذي قد ذُبتُ من وَجد به وغرام ليس يدري الخَبرا

لَيتهم لو سامَحوني ساعةً بحبيبي فاِختَلستُ النَظَرا

ليس بَختي في الهوى البختَ الذي أجتنى البرد به والزَهَرا

الفصل الحادي عشر

العيون في شعر الزهد والتصوف

بما يحتويه الزهد والتصوف من رقة ولطافة وشفافية ، جاء الشعر الصوفي بهذه المعايير الخاصة من نوعها ،وظهر ذلك في كثير من أشعارهم حول العين لتظهر لواعج محبتهم لوحات غرامية وأشجان بكائية غارقة في العشق لأن المحبين تنطق عبر لواعجهم وحبهم العين معبرة عن مكنون صدورهم شاهدة على ذلك العشق دموعهم التي هي رسول صادق لتلك المحبة...

وحيث ان العشق الصوفى لايرتكز على المشاهدة من خلال العين، فانه يستعمل العين اداة اساسية فى توضيح مكنون صدره ، وتصبح العين هنا بمثابة الجسر الذى يساهم فى التعبير عن ما يجيش فى نفوس اهل التصوف .

لَوْ أَنَّ لِـى فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
ثَمَانِيــنَ بَحْــراً مِنْ دُمُوعٍ تُدْفِقُ
لأَفْنَيْتُهَا حَتّى ابْتَـدَأْتُ بِغَيْرِها وَهَذَا قَلِيـلٌ لِلْفَتَــى حَينَ يَعْشَقُ

أُهِيمُ بِهِ حَـتَّى الْمَمَاتِ لِشَقْوت وَحَـوْلِى مِنَ الْحُبِّ المبَرِّحِ خَنْــدَقُ

وَفَوْقِى سَحَابٌ يُمْطِرُ الشَّوْقَ والْهَوَى وَتَحْـتِـى عُيُـونٌ لِلْهَوَى تَتَدفَّقُ

الزهد... والتصوف :-

الزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا. ومادتها اللغوية زهد يزهد زهدًا فهو زاهد من الزهادة. وقد ترد بمعنى الرخيص والقليل والحقير وما إلى ذلك.

وفي القاموس المحيط للفيروزبادي :زَهَدَ فيه، كمَنَعَ وسَمِعَ وكَرُمَ، زُهْداً وزَهادَةً أو هي في الدُّنْيا، والزُّهْدُ في الدِّينِ: ضِدُّ رَغِبَ. وكمَنَعَه: حَزَرَهُ، وخَرَصَهُ. انتهى.

الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال، وهو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف أو كما قال سفيان الثوري - - الزهد في الدنيا قصر الأمل.

والمُزْهدُ: القليل المال، والقليل الشيء، وإنما سُمِّي مُزْهدًا لأن ما عِنْدَه يُزْهَد فيه ويقال رَجل زَهيد العين إذا كان يُقنعُه القليلُ، ورغيب العين إذا كان لا يُقنعهُ إلا الكثير. المُزْهد هو الذي ليس عنده

شيءٌ من الدنياختلفت كلمة العلماء حول التعريف الحقيقي للصوفية وللتصوف اختلافاً كثيراً قلما يوجد له مثيل:

في اللغة:

في معاجم اللغة تحت مادة (صوف) على عدة معان، منها إطلاق كلمة صوف على الصوف المعروف من شعر الحيوانات ...اخ

في الاصطلاح:

فإنه يصدق عليه عموماً أنه بدعة محدثة في الدين وطرائق ما أنزل الله بها من سلطان ..التصوف هو تجريد العمل لله تعالى، والزهد في الدنيا وترك دواعي الشهرة، والميل إلى التواضع والخمول، وإماتة الشهوات في النفس. وهذا التعريف قد لا يصدق في الواقع إلا على التصوف في عهده الأول .. و إنما كان نسبة إلى لبسهم الصوف الذي عبر عن الزهد والتقشف وترك التنعم والملذات المباحة .. وبعض العلماء يرى أن التصوف مأخوذ عن الصفاء؛ أي صفاء أسرارهم أو صفاء قلوبهم أو صفاء معاملتهم لله تعالى، وهو ما يحب الصوفيون التسمي به .. وبعضهم يرى أنه نسبة إلى الصفة التي كان يجلس فيها فقراء الصحابة رضوان الله عليهم في المسجد .. فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم، فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف ..وبعضهم يرى أنه نسبة إلى قبيلة بني صوفة وهى قبيلة بدوية كانت حول البيت في الجاهلية .. وبعضهم يرى أنها نسبة إلى الصفوة من خلق الله تعالى.

بما أن العين تحمل شفافية الروح وهي المعبرة بصدق عن ما يجيش في خلجات النفس من انفعال الشعر الصوفي في كل حقب التاريخ الاسلامي ،كان له حنينه الخاص وبكائياته التي تميز بها فقد كان العشق الروحانى بشتى ضروبه الصوفية له ثقله بغض النظر عن الرؤيا الفلسفية الخاصة به :

وكم ليلة قد بدت ارعى نجومها كـــــان فـــؤادى بالثـــريا معـــــــــلق

اذا حن طرفى للكرى صاح صائح افق لاتنم ان كنت فى الحب تصدق

حرام على المشتاق ان يألف الكرى فكيف ينـــــــــــــــام الليل من يتعشق

قال الجنيد[361]: دفع الى السري[362]، رقعة وفال هذه خير لك من سبع مائة قصة وإذا فيها:

ولما ادعيت الحب قالت كذبتي فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا وتذبل حتـى لا تجيب المناديا

وتنحل حتى لا يبقي ل كلك الهوى ســـــــــــــوى مقلة تبكى بهـــا وتناجيا[363]

ولما كان الحب لله سبحانه وتعالى معنى مختلف عن حب من سواه ، فكان الشعر حول العين له زوايا اخرى وابعاد لا يفهمها الا اهل هذه العلاقة السامية الجليلة يقول احدهم :

قوم تخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه

تاهوا برؤيته عما سواه له يا حسن رؤيتهم في عز ماتاهوا[364]

يقول الجنيد :

الوجد يطرب من في الوجد راحته والوجد عند حضور الحق مفقود

قد كان يطربني وجدي فاشغلني عن رؤية الوجد ما في الوجد موجود[365]

وبما إن التجارة مع الله عز تجارة لها مفهوم آخر ، فإن الشعراء يستشعرون الوحشة وخواء النظر ان لم تكن متعلقة بالله جل شأنه يقول أحد الشعراء:

وان امرؤ لم يصف لله قلبه لفي وحشة من كل نظرة ناظر

وان امرؤ لم يرتحل ببضاعة الى داره الأخرى فليس بتاجر

وان امرؤ ابتاع دنيا بدينه لمنقلب منها بصفقة خاسر[366]

---

[361] ـ الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم(000 - 297 هـ): صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير. له (رسائل) منها ما كتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ما هو في التوحيد والإلوهية، والغناء، ومسائل أخرى. وله (دواء الأرواح).ينظر ترجمته: وفيات الأعيان 1/ 117، وصفة الصفوة 2/ 235 ، وتاريخ بغداد 7/ 241 .

[362] ـ السري بن أحمد بن السري الكندي، أبو الحسن(ت 366 هـ): شاعر، أديب من أهل الموصل. كان في صباه يرفو ويطرز في دكان بها، فعرف بالرفاء. وكان عذب الألفاظ، مفتناً في التشبيهات والأوصاف، ولم يكن له رواء ولا منظر. من كتبه (ديوان شعره) و (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب).وفيات الأعيان 1/ 201، ويتيمة الدهر 1/ 450 – 530.

[363] ـ ترجمة السري الرفاء في يتيمة الدهر 2/ 117.

[364] ـ إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) دار المعرفة - بيروت ، 3 /41

[365] ـ التعرف لمذهب أهل التصوف،: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت: 380هـ)،دار الكتب العلمية - بيروت، 113.

وهذا احد الشعراء يعبر عن هذا الحب العميق المتناهى فى العشق ، وهو يلبى منادى الحج الى بيت الله ويخاطب نفسه ويطالبها بالاجتهاد وان تساعده على تقوى الله عز وجل ، ثم يقول مظهرا كل فروض الطاعة والخضوع بأنه لو جاء يسعى لله على بصره لن يكون قد عبر عن حبه وما فى نفسه من اذعان وعبودية:

لما رأيت مناديكم الم بنـاء شددت ميزر إحرامي ولبيت

وقلت للنفس جدي الآن واجتهدي وساعديني فهذا ما تمنيت

لو جئتكم قاصدا السعي على بصري لم أد حقا واى الحق أديت[367]

بل قد يذهب أحدهم بعيدا ، حين يكون حبه اكبر واعظم ، فقد جعل الارواح عطرا او كأنها عبيرا يستنشقه وهو فى ذلك بين أملين الاول ان يرى المحبوب والثانى ان يرى من رأى المحبوب فقال:

واستنشق الأرواح من نحو أرضكم لعلى أراكم أوارى من يـراكم

واسأل من لاقيت عنكم عساكم تجودون لي بالعطف منكم عساكم

فانتم حياتي إن حييت وان أمت فيا حبذا إن مت عبد هواكم[368]

يروى عن الضحاك بن مزاحم[369]: انه قال : خرجت ذات ليلة إلى مسجد الكوفة، فلما اقتربت من المسجد ، فإذا في بعض رحابه شاب قد خر ساجدا فقربت منه لا سمع ما يقول ، فسمعته يقول:

عليك يا ذا الجلال معتمدي طوبى لمن كنت أنت مولاه

طوبى لمن بات خائفا وجلا يشكو الى ذي الجلال بلواه

وما به علة ولا سقم أكثر من حبــه لمــولاه

إذا خـلا في ظـلام مبتهلاً أجابه الله ثم لباه

---

[366] ـ روضة العقلاء، 28، و طبقات الأولياءابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ)، بتحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، مكتبة الخانجي، بالقاهرة،الطبعة: الثانية، 1415 هـ - 1994م، 135.

[367] ـ المدهش: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق: الدكتور مروان قباني، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1405هـ - 1985م، 145.

[368] ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر، 2/ 502.

[369] ـ الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم(000 - 105 هـ): مفسر. كان يؤدب الأطفال. ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي. له كتاب في (التفسير) توفي بخراسان. ميزان الاعتدال 1/ 471 ، وتاريخ الخميس 2/ 318 ، والعبر للذهبي 1/ 124.

من لم ينل ذا من الإله فقد فاز بقرب تقـر عيناه[370]

ويقول الشيخ عبد الغنى النابلسي[371] وهو يطوف في رياض العشق والحب الالهي :

يا مسمى بالإسامي كلها وهو المنزه
أنت في الكل مرامي فيك عيـني تتنزه
ساطع الطلعة أزهر في شروق ومغيب
كل شيء عقد جوهر حلية الحسن المهيب

وقال احد الزهاد:

فلا تأمن لذي الدنيا صلاحا فان صلاحها عين الفساد
ولا تفـرح لمال تقتنيه فانـك فيه معكـوس المراد

يقول أخر:

ويوم ترى الشمس قد كورت وفيه ترى الأرض قد زلزلت
وفيه ترى كل نفس غدا إذا حشر الناس ما قدمت
أترقد عيناك يا مذنبا وإعمالك السؤ قد دونت
فأما سعيد إلى جنة وكفـاه بالنور قد خضبت
وإما شقي كسي وجهه سـوادا وكـفاه قـد غللت[372]

---

[370] ـ بحر الدموع: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث، الطبعة: الطبعة الأولى 1425هـ-2004م، 18.

[371] ـ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي(1050 - 1143 هـ): شاعر، عالم بالدين والأدب، مكثر من التصنيف، متصوف. ولد ونشأ في دمشق. ورحل إلى بغداد، وعاد إلى. سورية، فتنقل في فلسطين ولبنان، وسافر الى مصر والحجاز، واستقر في دمشق،وتوفي بها. له مصنفات كثيرة جدا، منها " الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية " و " وتعطير الأنام في تعبير المنام ".ينظر ترجمته:آداب اللغة 3/ 324 ، خزائن الكتب 39 و 42 و 52 و 58 ومعجم المطبوعات 1832.

[372] ـ بحر الدموع ، 60.

يشرح الامام ابن تيمية[373] حال البعض فى علاقته بالله ، و ليس كل عين بحبيبها سعيدة وقريرة ولا من يناديه الحبيب يجيبه ملبيا ، ومثل للبعض الذى لايستشعر عظمة الله عز وجل مثل العيون التى عليها الرمد لا تفرق بين الظلام والنور، ومثل لذلك بالحسناء الجميلة التى تزوجها رجل عنين وضرير ، فهو لايرى جمالها ولايستشعر انوثتها :

فما كل عين بالحبيب قريرة ولا كل من نودي يجيب المناديا
وقل للعيون الرمد: إياك إن ترى سنا الشمس فاستغشى ظلام الليواليا
وقل للذي قد غاب يكفى عقوبة مغيبك ذا الشأن لو كنت واعيا
ووالله لو أضحى نصيبك وافرا رحمت عدوا حاسدا لك قاليا
فيا محنة الحسناء تهدى الى امرئ ضرير وعنين من الوجد خاليا
إذا ظلمة الليل انجلت بضيائها يعود لعينيه ظلاما كما هيا[374]

يقدم ابن الفارض[375]محبته شافع لدى المحبوب ، تاركا المشيئة كلها لها فالخيار فى النهاية للمحبوب الذى يمكن ان يترك حبال الوصل غير مقطوعة ، وهو فى هذا الحال لايطمع الا فى نظرة من المحبوب ، وهو بين اليأس والرجاء لا يتغير قلبه فمحبته خير شاهد، فسيظل الخل الوفى مهما تقطعت السبل:

أحبّةَ قلبي والمَحَبّةُ شافعي لدَيكم إذا شئْتُمْ بها اتّصل الحبل

---

[373] ـ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية(661 - 728 هـ): الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق. وسافر إلى مصر، فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم فسافر إلى دمشق سنة 712 هـ، واعتقل بها سنة 720 هـ. أما تصانيفه (الجوامع) ،و (السياسة الشرعية) و (الفتاوى).ينظر ترجمته: فوات الوفيات 1/ 35 - 45 ، والدرر الكامنة 1/ 144 ، والبداية والنهاية 14/ 135.

[374] ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م، 2/ 58.

[375] ـ عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين ابن الفارض(576 - 632 هـ): أشعر المتصوفين. يلقب بسلطان العاشقين. اشتغل بفقه الشافعية. له" ديوان شعر ". ينظر ترجمته: وفيات الأعيان 1/ 383 ، وميزان الاعتدال 2/ 266 وشذرات الذهب 5/ 149 - 153.

عسى عَطْفَةٌ منكُمْ عليّ بنظرةٍ فقد تعبَتْ بيني وبينَكُمْ الرُّسُلُ
أحِبّايَ أَنتُم أَحسَنَ الدّهرُ أم أسا فكونوا كما شئتمْ أنا ذلك الخِلّ

ثم يقول :

إذا أنعمت نُعْمٌ عليّ بنظرةٍ فلا أسعدتْ سعدي ولا أجملتْ جُمل
وقد صَدِئَتْ عيني برُؤية غيرها ولَثْمُ جفوني تُرْبَها للصدى يجلو
وقد عَلِمُوا أني قتيلُ لِحاظِها فإنّ لها في كلّ جارحةٍ نصْل
حَديثي قَديمٌ في هواها وما لَهُ كما علِمتْ بَعْدٌ وليس لها قبل
وما ليَ مِثْلٌ في غرامي بها كما غَدَتْ فتْنةً في حُسْنِها ما لها مِثل
حرامٌ شِفا سُقْمِي لديها رضيتُ ما به قسمَتْ لي في الهوى ودمي حِلّ
فحالي وإن ساءتْ فقد حَسُنَتْ به وما حطّ قدري في هواها به أعْلو
وعُنوانُ ما فيها لقيتُ وما بهِ شَقَيْتُ وفي قولي اختَصَرْتُ ولم أغل
خَفيتُ ضنىً حتى لقد ضلّ عائدي وكيف تَرَى العُوّادُ من لا له ظِلّ
وما عَثَرَتْ عَيْنٌ على أَثَري ولم تَدَعْ لي رسماً في الهوى الأعينُ النُّجل
ولي همّةٌ تعلو إذا ما ذكَرْتُها وروحٌ بِذِكْراها إذا رَخُصَتْ تغلو[376]

الغفلة مرض واستهوان ، فكيف تغفل وانت محتاج الى الله الكريم، وهو يعطبك كمايشاء ويحفظك فكيف تنام عيون الغافلين عن ذكر الله ، وهو المتفضل بالنعم وفى هذا المعنى بقول ذو النون المصري[377]:

يا غافلا والجليل يحفظه من كل سوء يدب في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك يأتيك منه فوائد النعم[378]

ويقول أيضاً:

دع المصوغات من ماء وطين واشغل هواك بحور عين[379]

ويقول أيضاً:

منع القران بوعده ووعيده مقل العيون بليلها أن تهجع

---

[376] ـ خزانة الأدب وغاية الأربابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: 837هـ)، تحقيق، عصام شقيو، ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت،الطبعة: الطبعة الأخيرة 2004م، 1/ 453.

[377] ـ ذُو النُّون المِصْري ثوبان بن إبراهيم الإخميميّ المصري، أبو الفَيَّاض، أو أبو الفيض(000 - 245 هـ): أحد الزهاد العباد المشهورين.من أهل مصر. نوبيّ الأصل من الموالي. كانت له فصاحة وحكمة وشعر. وهو أول من تكلم بمصر في (ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية). وتوفي بجيزتها . وفيات الأعيان 1/ 101، وميزان الاعتدال 1/ 331، ولسان الميزان 2/ 437.

[378] ـ حياة الحيوان الكبرى: محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (المتوفى: 808هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، 1424 هـ، 2/ 189.

[379] ـ ذم الهوى: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة: محمد الغزالي، 85.

فهموا عن الملك الكريم كلامه فهما تذل له الرقاب وتخضع[380]

يقول الإمام الشافعي:

سهرت أعين ، ونامت عيون في أمور تكون أو لا تكون
فادرأ الهم ما استعطت عن النفس فحملانك الهموم جنون

إن رباً كفاك بالأمس ما كان سيكفيك في غدٍ ما يكون[381]

وفي موضع آخر يقول الشيخ عبد الغني[382]:

عيني لغير جمالكم لا تنظر وسواكم في خاطري لا يخطر
وجميع فكري فيكوم دون الورى وعلى محبتكم أموت وأحشر
يا سادة قلبي بهم متعلق أبداً وعنكم ساعة لا أصبر
إن نمت كنتم في المنام معي وإن في يقظتي قد كنت فيكم أبصر
ولعل لطفك أن يداركني فقد أقللت من أدبي وإني الأحقر
سبحانك اللهم يا ملك الورى إني بجاهك في الورى أستنصر

يقول خالد الكاتب:

عيني أسأت إلى فؤادي فرمى جفونك بالسهادِ
فابكيهِ وابكي ما عدم ت فلا سبيل إلى رقادِ
وكلتـــه بمـدللٍ فرماه في وضح السوادِ
يا عين كيف بذلتي أمكنتِ قلبي من قيادي

يقول محي الدين بن العرب:

---

[380] ـ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، دار ابن حزم للطبتعة والنشر، الطبعة: الأولى، 1424هـ/2004م،173.

[381] ـ تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)،الكتب العلمية بيروت-لبنان،الطبعة: الأولى، 1419هـ- 1998م، 4/ 128.

[382] ـ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي(1050 - 1143 هـ): شاعر، عالم بالدين والأدب ، متصوف. ولد ونشأ في دمشق. ورحل إلى بغداد، وعاد إلى. سورية، فتنقل في فلسطين ولبنان، وسافر الى مصر والحجاز، واستقر في دمشق،وتوفي بها. له مصنفات كثيرة جدا، منها " الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية " و " وتعطير الأنام في تعبير المنام " و " ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث ".ينظر ترجمته: آداب اللغة 3/ 324 ، ومعجم المطبوعات 1832، والخزانة التيمورية 3/ 298.

فكم دعوتكَ يا عيني ولم تجبْ خابتْ سهامُ دعائي فيك لم تصبِ
شُغلتَ عني بأمرٍ أنت تعرفه ولا تظنَّ بنا شيئاً من الريب
رميت حب قبول في حبالتكم فصدت والله يا عيني ولم تخب
فاهنأ فديتك صياداً أظفرت بما تريده من فتى من سادةٍ نجبِ

حسين بن منصور الحلاج[383]:

العَينُ تُبصِرُ مَن تَهوي وَتَفقِدُهُ وَناظِرُ القَلبِ لا يَخلو مِنَ النَظَرِ
إن كانَ لَيسَ مِعي فَالذِكرُ مِنهُ مَعي يَراهُ قَلبي وَإِن قَد غابَ عَن بَصَري[384]

ميمونة السوداء[385]:

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرينا
والسنة بسر قد تناجى تغيب عن الكرام الكاتبينا
وأجنحة تطير بغير ريش الى ملكوت رب العالمينا
تسقى شراب الصدق صرفا وتروى من كؤوس العارفينا[386]

الفصل الثاني عشر

العيون في شعر العصر العربى الحديث

شعر العصر العربي الحديث كتعريف هو الشعر العربي الذي كتب في العصر الحديث. وصفة (العصر الحديث) يُقصد به الإطار الزمني الذي تتميز فيه معالم الحياة عن الأزمنة السابقة

بصفة عامة اعتاد دارسو الشعر العربي تصنيفه إلى فترتين أساسيتين: الشعر القديم والشعر الحديث. فالشعر العربي القديم يقصد به كل شعر عربي كتب قبل عصر النهضة العربية،كما يقصد به كل شعر كتب على نمطه فيما بعد. ويمكن أن يسمى أيضا بالشعر التقليدي لكونه يسير

---

[383] ـ الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث(000 - 309 هـ):فيلسوف، يعد تارة في كبار المتعبدين والزهاد، وتارة في زمرة الملحدين. أصله من بيضاء فارس، ظهر أمره سنة 299هـ. له (طاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة النورية) و (الظلّ الممدود والماء المسكوب والحياة الباقية).ينظر ترجمته: الفهرست 1/ 190 ، ولغة العرب 3/ 154.

[384] ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت: 749هـ)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، 1423 هـ، 10/ 416.

[385] ـ امرأة عابدة سكنت الكوفة ، كانت ترعى الغنم .ورد ذكرها في ترجمة عبد الواحد بن زيد،تاريخ دمشق، 37/ 333.

[386] ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، االطبعة: 1، 1978م، 2/ 824.

في ركاب التبعية والتقليد، كما يسمى بالشعر العمودي نسبة إلى أسلوب كتابة أشطره المتناظرة بشكل عمودي.

والشعر العربي الحديث يقصد به كل شعر عربي كتب بعدالنهضة العربية. وهو يختلف عن الشعر القديم في أساليبه وفي مضامينه وفي بنياته الفنية والموسيقية وفي أغراضه وموضوعاته وفي أنواعه المستجدة والمختلفة.

كان لابد لي من هذه المقدمة التي تجعل لهذا الشعر شخصيته الخاصة ونكهته التي تأثرت كثيرا بالمدارس الشعرية المختلفة ومن هنا نجد أن العين لم تتناقص كمفردة ولم يزيدها هذا التطور في الحياة الشعرية إلا توهجا وانفعالا وتفاعلا عبر المعانى عند معظم الشعراء ، ورغم أن كل شاعر تميز بسمته الخاصة إلا أن العين ظلت وحي الخيال وبمثابة الأرض الخصبة التي تتمتع بخاصية انجاب أجمل لوحات الأبداع الشعري....ولنا أن نستشف ذلك من بعض النماذج ونستعرضها كامثلة :-

جبران خليل جبران[387] الذى غنى بجمال العيون ، بل جعل البدر انسانا له عيون يسعى بها ويرصد بها الايام:

سَكنَ اللَّيل وَفي ثَوب السُّكون تَختَبي الأَحلام

وَسَعى البَدرُ وَلِلبَدرِ عُيُون تَرصُدُ الأَيّام

عَلّنا نطفي بِذيّاك العَصِير حرقَةَ الأَشواق

فَتَعالي يا اِبنَة الحَقل نَزُور كرمة العُشّاق

اِسمَعي البُلبُل ما بَينَ الحُقُول يَسكُبُ الأَلحان

في فَضاء نَفَخَت فيهِ التّلول نَسمَة الرّيحان

لا تَخافي يا فَتاتي فَالنُّجوم تَكتُمُ الأَخبار

وَضَبابُ اللَّيل في تِلكَ الكُرُوم يَحجُبُ الأَسرار.

وقال جبران خليل جبران أيضاً:

ثاو على صخر أصم وليت لي قلبا كهذه الصخرة الصماء

[387] ـ جبران بن خليل بن مخائيل (1300 - 1349 هـ): نابغة الكتّاب المعاصرين في المهجر الأميركي، وأوسعهم خيالاً. أصله من دمشق. ثم إلى قرية (بشعلا) في لبنان، ولد قرية بشرّى. وتعلم ببيروت، وأقام ورحل إلى الولايات المتحدة سنة 1895م ، وعاد إلى بيروت فتثقف بالعربية أربع سنوات. من كتبه (دمعة وابتسامة) و (عرائس المروج) و (الأرواح المتردة) .أعلام اللبنانيين 187 ، و (أدبنا وأدباؤنا) 226 - 241.

ينتابها موج كموج مكارهي ويفتها كالسقم في أعضائي

والبحر خفاق الجوانب ضائق كمدا كصدري ساعة الإ مساء

تغشى البريه كدره وكانها صعدت إلى عيني من أحشائي

والأفق معتكر قريح جفنه يغفى على الغمرات والاقذاء

الشاعر على الجارم[388] دمع العين عنده يوازى الدماء من القلوب التى سكنها الم الفراق ، :

دُموعُ عُيونٍ أم دِماءُ قُلوبِ على راحلٍ نائي المَزَارِ قريبِ

نعاه لنا الناعِي فأفْزَعَ مِثْلَما تُراعُ بِصَوْتٍ في الظلامِ رهيب

فقلنا أبِنْ رُحْماكَ طارتْ عُقُولُنا فلم نستَمِعْ من فِيكَ غَيْرَ نَعِيب

شككنا وكان الشكُّ أمْناً وراحةً وَكم من يقينٍ في الحياة مُريب

ولا تترك العيون للشاعر معروف الرصافي[389] مجالا للصمت فيصفها بالسيوف المجردة من اغمادها، والحواجب تمثلت له كأنها قسى السهام التى تصيب قلبه بالحب والهيام وهى صور بلاغية رقيقة:

سيوف لحاظ أم قسيّ حواجب تريش إلى قلبي سهام المعاطب

وربّ كعاب أقبلت في غلائل وقد لاح لي منها حليّ الترائب

لها جيد ظبيٍ واعتدال وشيجة وعين مهاة وائتلاق الكواكب

ولا عيب فيها غير أن أولي الهوى ينادونها في الحسن بنت العجائب

نضت عن محيّاها النقاب عشيّةً فأسفر صبح الحسن من كل جانب

---

[388] ـ علي بن صالح بن عبد الفتاح الجارم(1299 - 1368 هـ): أديب مصري، من رجال التعليم. له شعر ونظم كثير.ولد في رشيد، وتعلم بالقاهرة وانجلترة. له " ديوان الجارم " ، و " قصة العرب في إسبانيا " ، و " فارسي بني حمدان " و " شاعر ملك ".ينظر ترجمته:، تقويم دار العلوم 162 ، وأحمد العوامري، في مجلة مجمع اللغة العربية 7/ 386 - 392 .

[389]ـ معروف بن عبد الغني البغدادي الرصافيّ(1294 - 1364م): شاعر العراق في عصره. من أعضاء المجمع العلمي العربيّ (بدمشق) أصله من عشيرة الجبارة في كركوك ، ونشأ بها في (الرصافة). نشأ وعاش ومات فقيراً. له كتب، منها (ديوان الرصافي) ، و (دفع الهجنة).ينظر ترجمته: ولب الألباب 335 ، ولغة العرب 4: 386 ، ومشاهير الكرد 2/ 196.

ومذ نشرت سود الذوائب أولجت نهار محيّاها يليل الذوائب

تناسب فيها الحسن حتى رأيتها تفوق الدمى في حسن ذاك التناسب

مفتّرة الأجفان تدمي بلحظها قلوب أسود مدميات الكتائب

ولم يكن الشاعر بدر شاكر السياب بعيدا عن العيون ، ولكن لكل شاعر ريشته فى رسم لوحته، ولكل مبدع خياله ، فهو يعبر عن حبه الذى ايقظت انحناءات النهر وفروعه المتشابكة اشجانه فبكت عبن السياب ، ثم استرسل يغنى ويغازل النهرثم لايلبث ان يخاطب النجوم البعيدة وهى تنظر بعيون انوارها الى النهر كأن بين النجوم والنهر قصة عشق ، ولايغيب عن بصر تلك الكواكب رؤية من يحبه الشاعر:

يا نهر ،لولا مُنحَناكَ و ما يشابكُ من فروعِ ما كانت البسماتُ في عينيّ تُطفأ بالدموعِ

حجَّبتَ ، بالشأو البعيد تسدُّ بابَيه الظِّلالُ ، وجهاً تلاقى في مُحياه الوداعةُ و الجمالُ

مرآتُك الخضراء، منذ جَلَوْتَها تحتَ السماءِ ما لاح فيها مثلُ ذاك الوجه . في ذاك الصفاء

إنْ أوقدَ الليلُ العميقُ نجومه في جانبَيك لمَّاحةَ الأضواء تغمر بالأشعَّة ضفّتيك

ناشدتَ ألحاظَ الكواكب وهي تخترقُ الظلام الأ يَنَمنَ _ و إن تشهَّين الكرى _ حتى تنام

"أنتنّ أسعدُ ما أظلّ الكونُ يا زهْرَ النجوم أنتنّ أبصرتنَّ ذاك الوَجْهَ في الليل البهيم" !

حتى إذا ما رنح النجم الأخير سنا الصباحِ فانقضَّ تحت القُبةِ الزرقاء ، مقصوصَ الجناح أصبحتُ فوق المعبر المهجور أرقبُ منحناك فأبوح بالشكوى.وتسكت عن شكاتي ضفتاك.

إبراهيم اليازجي[390]يترجم الصبابة شعرا حبن يصف حاله ، وكيف ان نواظره باتت متيمة ، بل جعل من نواظره قربان للمحبوب، بل الى اكثر من ذلك عندما قال ان عيون محبوبه قد اخذن ميثاق وعهد من قلبه بان الحب الذى فيه لن يتبدل :

ما مَرَّ ذِكرَكَ خاطِراً في خاطِري إلّا اِستَباحَ الشَوقُ هَتكَ سَرائِري

390 ـ إبراهيم بن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط(1263 - 1324 هـ): عالم بالأدب واللغة. أصله من حمص. ولد ونشأ في بيروت، وقرأ الأدب على أبيه. وتولى تحرير جريدة النجاح سنة 1872م. وتعلم العبرية والسريانية والفرنسية، وألف كتاب (نجعة الرائد في المترادف والمتوارد) ، وله (ديوان شعر) و (الفرائد الحسان من قلائد اللسان). ومما امتاز به جودة الخط ،وإجادة الرسم والنقش والحفر. ومات في القاهرة ثم نقل رفاته إلى بيروت.ينظر ترجمته: تاريخ الصحافة العربية 88/2، ونبذة تاريخية 55، وأعلام اللبنانيين 121، ومعجم المطبوعات 1927.

وَتَصَبَبَتْ وَجداً عَلَيك نَواظرٌ باتَت بِلَيلٍ مِن جَفائكَ ساهِرِ
بَلَغَ الهَوى مِنِّي فَإن أَحبَبتَ صِل أَولا فَدَتكَ حشاشَتي وَنَواظِري
قَسَماً بِحُسنكَ لَم أُصادفْ زاجِراً إلّا وَحُسنك كانَ عَنهُ زاجِري
أَوَ ما كَفاكَ مِن الَّذي لاقَيتَهُ وَلَهٌ كَساني الذُّلُّ بَينَ مَعاشِري
وَضَنىً يَكاد يَشف عَن طَيِّ الحَشا حَتّى خَشيتُ بِهِ اِفتِضاحَ ضَمائِري
أَخَذتْ عُيونك مِن فُؤادي مُوثِقاً وَعَلَيَّ عَهدُ هَواكَ لَستُ بِغادرِ
كُن كَيفَ شئتَ تَجدْ مُحبّك مِثلَما تَهوى عَلى الحالين غَير مغايرِ

.

الشاعر احمد شوقي[391]:

ريمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ "أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ
رَمى القَضاءُ بِعَينَي جُؤذَرٍ أَسَدًا "يا ساكِنَ القاعِ أَدرِك ساكِنَ الأَجَـــــمِ
لَمّا رَنا حَدَّثَتني النَفسُ قائِلَةً "يا وَيحَ جَنبِكَ بِالسَهمِ المُصيبِ رُمي
جَحَدتُها وَكَتَمتُ السَهمَ في كَبِدي "جُرحُ الأَحِبَّةِ عِندي غَيرُ ذي أَلَمِ
رُزِقتَ أَسمَحَ ما في الناسِ مِن خُلُقٍ "إِذا رُزِقتَ اِلتِماسَ العُذرِ في الشِيَمِ
يا لائِمي في هَواهُ والهوى قدر "لَو شَفَّكَ الوَجدُ لَم تَعذِل وَلَم تَلُمِ

[391] ـ أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي(1285 - 1351 هـ)أشهر شعراء العصر الأخير. يلقب بأمير الشعراء. نشأ في ظل البيت المالك بمصر، وتعلم في بعض المدارس الحكومية، وأرسله الخديوي توفيق سنة1887م إلى فرنسة، فتابع دراسة الحقوق في مونبليه ، وعاد سنة 1891م، سافر إلى إسبانية سنة 1915م وعاد بعد الحرب (في أواخر سنة 1919م)، فجعل من أعضاء مجلس الشيوخ إلى أن توفي. وكانت حياته كلها (للشعر). اتسعت ثروته، وعاش مترفاً ، من آثاره (الشوقيات)، و (دول العرب) نظم، و (مصرع كليوباطرة) قصة شعرية، و (مجنون ليلى) وغيرها.ينظر ترجمته: ومجلة المجمع العلمي 13: 69 - 113 و 156، ومرآة العصر 3/ 113 ، وصفوة العصر 636 .

لَقَد أَنَلتُكَ أُذنًا غَيرَ واعِيَةٍ" وَرُبَّ مُنتَصِتٍ وَالقَلبُ في صَمَمِ

يا ناعِسَ الطَرفِ لا ذُقتَ الهَوى أَبَدًا" "أَسهَرتَ مُضناكَ في حِفظِ الهَوى فَنَمِ

مَنِ المَوائِسُ بانًا بِالرُبى وَقَنًا" "اللاعِباتُ بِروحي السافِحاتُ دَمي

السافِراتُ كَأَمثالِ البُدورِ ضُحًى" "يُغِرنَ شَمسَ الضُحى بِالحَلي وَالعِصَمِ

القاتِلاتُ بِأَجفانٍ بِها سَقَمٌ" "وَلِلمَنِيَّةِ أَسبابٌ مِنَ السَقَمِ

العاثِراتُ بِأَلبابِ الرِجالِ وَما" "أُقِلنَ مِن عَثَراتِ الدَلِّ في الرَسَمِ

المُضرِماتُ خُدودًا أَسفَرَتْ وَجَلَتْ" "عَن فِتنَةٍ تُسلِمُ الأَكبادَ لِلضَرَمِ

الحامِلاتُ لِواءَ الحُسنِ مُختَلِفًا" "أَشكالُهُ وَهوَ فَردٌ غَيرُ مُنقَسِمِ

مِن كُلِّ بَيضاءَ أَو سَمراءَ زُيِّنَتا" "لِلعَينِ وَالحُسنُ في الآرامِ كَالعُصُمِ

يُرَعنَ لِلبَصَرِ السامي وَمِن عَجَبٍ" "إِذا أَشَرنَ أَسَرنَ اللَيثَ بِالعَنَمِ[392]

ويقول في مكانٍ آخر:

نَبَذَ الهَوى وَصَحا مِنَ الأَحلامِ شَرِقٌ تَنَبَّهَ بَعدَ طولِ مَنامِ

ثابَت سَلامَتُهُ وَأَقبَلَ صَحوُهُ إِلا بَقايا فَترَةٍ وَسَقامِ

صاحَت بِهِ الآجامُ هُنتَ فَلَم يَنَم أَعَلى الهَوانِ يُنامُ في الآجامِ

أُمَمٌ وَراءَ الكَهفِ جُهدُ حَياتِهِم حَرَكاتُ عَيشٍ في سُكونِ حِمامِ

نَفَضوا العُيونَ مِنَ الكَرى وَاِستَأنَفوا سَفَرَ الحَياةِ وَرِحلَةَ الأَيّامِ

مَن لَيسَ في رَكبِ الزَمانِ مُغَبِّراً فَاِعدُدهُ بَينَ غَوابِرِ الأَقوامِ

الشاعر جميل صدقي الزهاوي:

تَبارك حسن لَيلى إن لَيلى كعابٌ شعرها الذهب المذابُ

عيون تفتن الألبابَ سودٌ ووجه منه يندفق الشباب

لَقَد أَرسلت عَن بعد كتاباً إلى لَيلى فَما رجع الجواب

فَما أَدري أليلي لَم ترد أَن تجيب عليه أَم ضاع الكِتاب

---

[392] ـ من نهج البردة. محمد صبري، الشوقيات المجهولة (بيروت 1979) 1 135- 139؛ ؛ محمد المهايني، بردة المديح المباركة، ص 41- 48.

وَلَم أَر مثل لَيلى في حَياتي فَتاة لا يمل لها جناب

يريد الحسن من لَيلى سفوراً فيدفن ذلك الحسن الحِجاب

تلاقينا فَطالَ لدى التَلاقي عَلى طول النوى منا العتاب

الشاعر / سميح القاسم:

أحبابنا.. خلف الحدود

ينتظرون في أسى و لهفة مجيئنا

أذرعهم مفتوحة لضمنا لِشَمِّنا

قلوبُهم مراجل الألم

تدقّ.. في تمزّق أصم

تحارُ في عيونهم ..ترجف في شفاههم

أسئلة عن موطن الجدود

غارقة في أدمع العذاب و الهوان و الندم

***

الشاعر نزار قباني:

وأعينٌ كبيرةٌ .. كبيرة

ما زال في سوادِها ينامُ ليلُ البادية..

لم يبقَ من قرطبه

سِوى دموعُ المئذناتِ الباكية

سِوى عبيرُ الوردِ،والنارنجُ والأضاليه..

لم يبق من ولادة ومن حكايا حبها..

قافية. ولا بقايا قافيه..

فاروق جويده:

ومضيتُ أبحثُ عن عيونِكِ

خلفَ قضبان الحياة

وتعربدُ الأحزان في صدري

ضياعاً لستُ أعرفُ منتهاه

وتذوبُ في ليل العواصفِ مهجتي

ويظل ما عندي

سجيناً في الشفاه

والأرضُ تخنقُ صوتَ أقدامي

فيصرخُ جُرحُها تحت الرمالْ

وجدائل الأحلام تزحف

خلف موج الليل

بحاراً تصارعه الجبال

والشوق لؤلؤةٌ تعانق صمتَ أيامي

ويسقط ضوؤها

خلف الظلالْ

عيناك بحر النورِ

يحملني إلى

زمنٍ نقي القلبِ..

مجنون الخيال

عيناك إبحارٌ

وعودةُ غائبٍ

عيناك توبةُ عابدٍ

وقفتْ تصارعُ وحدها

شبح الضلال

مازال في قلبي سؤالْ..

كيف انتهتْ أحلامنا ؟

مازلتُ أبحثُ عن عيونك

علَّني ألقاك فيها بالجواب

مازلتُ رغم اليأسِ

أعرفها وتعرفني

ونحمل في جوانحنا عتابْ

لو خانت الدنيا

وخان الناسُ

وابتعد الصحابْ

عيناك أرضٌ لا تخونْ

عيناك إيمانٌ وشكٌ حائرٌ

عيناك نهر من جنونْ

عيناك أزمانٌ ومرٌ

ليسَ مثل الناسِ

شيئاً من سرابْ

عيناك آلهةٌ وعشاقٌ

وصبرٌ واغتراب

عيناك بيتي

عندما ضاقت بنا الدنيا

وضاق بنا العذاب

***

ما زلتُ أبحثُ عن عيونك

بيننا أملٌ وليدْ

أنا شاطئٌ

ألقتْ عليه جراحها

أنا زورقُ الحلم البعيدْ

أنا ليلةٌ

حار الزمانُ بسحرها

عمرُ الحياة يقاسُ

بالزمن السعيدْ

الشاعر الأخطل الصغير:

أيها الغائب الذي في فؤادي حاضر كيف حال قلبك بعدي

أين عيناك تنظراني وكفي فوق قلبي ودمعتي فوق خدي

هائماً في الظلام يلذع حر الوجد قلبي ويلذع البرد جلدي

شبح طائف كسته يد الليل ببرد كوجهه مسود

بيد أنى لو شئت ما اعترف الليل بسهدي ولا اعترفت بوجدي

ولما هز صفع نعلى للأرض سكون الظلام إذ جد جدي

ولما استلنى الشقاء حساماً في نهاري وصير الليل غمدي

الشاعر إيليا أبو ماضي[393]:

عش للجمال تراه العين مؤتلقا في أنجم الليل أو زهر البساتين

وفي الرّبى نصبت كفّ الأصيل بها سرادقا من نضار للرياحين

[393] - إيليا بن ضاهر أبي ماضي(1306 - 1377 هـ): من كبار شعراء المهجر. ومن أعضاء (الرابطة القلمية) فيه. ولد في قرية (المحيدثة) بلبنان. وسكن الإسكندرية يبيع السجائر. وأولع بالأدب. وهاجر إلى أميركا (1911م) فعمل في جريدة (مرآة الغرب) ثم أصدر جريدة (السمير) أسبوعية (سنة 1929) إلى أن توفي بها. وزار وطنه قبيل وفاته. له (تذكار الماضي) و (ديوان أبي ماضي) و (الجداول) والخمائل).ينظر ترجمته: أدب المهجر 374 - 387، و(أدبنا وأدباؤنا) الطبعة الثانية 253 - 271، وشعراء من لبنان 15.

وفي الجبال إذا طاف المساء بها ولفّها بسرابيل الرّهابين

وفي السواقي لها كالطفل ثرثرة وفي البروق لها ضحك المجانين

وفي ابتسامات ((أيار)) وروعتها فإن تولّى ، في أجفان((تشرين))

لا حين للحسن ، لا حدّ يقاس به وإنّما نحن أهل الحدّ والحين

فكم تماوج في سربال غانية وكم تألق في أسمال مسكين

الفصل الثالث عشر

العيون في الشعر السوداني الحديث

إن العاطفة التي تشكل وجدان الإنسان السوداني،قد تحاول فك رموزها نظرات العيون إذا صح التعبير وقد لا يختلف معي البعض إن السوداني تميزه عاطفة جياشة وقادة ،سواء كانت عاطفة غرامأو عشق صوفي .....أو أي نوع من المحبة الإنسانية .....ولكن الشخصية السودانية تميل بطبيعتها وفطرتها إلى كتم العاطفة ، ولا تستلطف البوح والإفصاح عنها صراحة، أو التفاعل بها شفاهة....وإنما قد تظهرها... من حين إلى آخر خلال المشاعر والأحاسيس، التي تفرضها المواقف الحياتية بمواربة و كثير من الحياء، ولكن هناك جانب من إنسانيتنا ....لا يمكن أن نداريه بالصمت حتى لو أردنا ذلك، أنها العيون الناطقة الصامتة وهكذا استفاض عبرها وفيها الشعراء... فكانت نعم الملهمة للإفصاح عن مكنون الصدور، فأخرجت عبرهم تلك الدرر والصور النادرة... الذاخرة بالجمال ...والأنيقة بالإبداع الاغنية بالجواهر المعنوية... فانطلقت القصائد سلسة التعبير ... تعكس الواقع...

ومن هنا احببت أن لا اتناسى هذا الفيض الشعرى الجميل الذى يحكى عن حياة سودانية دار فلكها حول العين ، ولا يعنى ان ما ذكرته يشمل الاجمل من الشعر الذى نظمه الشعراء فى العيون السودانية ، بل حقيقة هو قيض من فيض ، و مقتطفات من حدائق الشعر السودانى.

الشاعر التجانى يوسف بشير[394]:

403التجاني يوسف بشير :احمدبن يوسف بن بشير بن الأمام جزري الكتيابي ولد عام1912م في بيئة محافظة ذات طابع صوفي وتوفى عام1937م في الخرطوم له قصائد في الصوفية والفلسفة منها (الصوفي المعزب) ، (انشودة الجن) ،(المعهد العلمي) ,له ديوان بعنون

سَبحانه كَم أَلهَم العَق ل جُنوناً وَحمق
يَشك ما يَحيا وَإِن أَش في عَلى المَوت فَرق
وَكَم تَعالى عَميت عَنهُ قُلوب مِن خَلق
سُبحانه قَد وَضحت آثاره فينا وَدَق
رَمى بِهَذا الطفل في الأَر ض وَمِن ثُمَ رُزق
رَمى بِهِ في مَوكب الدُنيا مِثــالاً لِلقَــلَق
يَدير عَينيهِ وَيَستَفس ر عَن سر الشَفَق
كَأَنَّهُ يَصرَخ إِن المَ وت بِالشَمس عَلق
أَو أَنَّهُ يَعرف أَن الضُ وء في الأُفق اِختَنَق

الشعر السوداني الفصيح أو الدارجي، غنى بالصور الجمالية، مفعم بلمسات الطبيعة والحياة الاجتماعية، ولا عجب في ذلك فالسوداني ابن بيئته ذات الصور المتعددة، التي تلهم الروح وتغذى الوجدان، ولم تكن الشاعرية محصورة في الصور المنظورة والحسية، بل تناولت العديد من القضايا الأجتماعية والوطنية، وظلت العيون ممتزجة، في روح تلك الإشعار، ونالت حظا وافراً ، على امتداد تاريخ الشعر السوداني، وحقبه المختلفة.

يقول حمزة الملك طمبل[395]:

لك عقل لا كالعقول ونفس لأجل الميــول كالميدان
فكمال الخصال في ضفتيها بجلال الجمال يلتقيان
ما رأت مقلتاي قبلك أنثى قد تحلت بالحسن والإحسان
كلما استرسلت دموعك يستر سل قلبي الكسير في الذوبان

يقول محمد سعيد العباسي[396]:

أنتِ «المطيرةُ»في ظلّ وفي شجرٍ فقدتِ أصواتَ رهبانٍ وعُبّاد
أُعيذ حسنَكِ بالرحمن مُبدعِهِ يا قُرّةَ العينِ من عَينٍ وحُسّاد

(إشراقة)-دار الثقافة –بيروت ، كما تحدث عنه كثير من الباحثين منهم احمد محمد البدوي :التجاني – لوحة واطار –المطبعة الفنية – الخرطوم 1980م ،عبدالمجيد عابدين :التجاني شاعرالجمال –ط 3 –مطبعة السعادة – القاهرة1962م

404- حمزة الملك طمبل : شاعر سوداني ولد في اسوان عام 1899ملاب سوداني يتصل نسبة بملوك ارقو وتوفى في مدينة دنقلا عام 1960م من شعراء السودان .من دواوينه : ديوان (الطبيعة) الصادر عام 1931م وله كتاب بعنوان (الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه) اعاد نشرهم محمد ابراهيم الشوش –المجلس القومي لرعاية الأداب والفنون –بيروت 1972م ، كما نشرت له قصائد في صحيفة الاهرام المصرية

405-محمد سعيد العباسي : شاعر سوداني ولد عام 1921م في التميراب غرب مدينة الدامر . عمل عميدا لكلية الأداب بجامعة الخرطوم ثم مديرا لها وعضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة . من دواوينه (اصداء النيل) 1975م ، (اللواء الطاهر) 1968م ، (سقوط الزند الجديد) 1976م ، (اغاني الاصيل) 1976م وله مسرحيات شعرية منها (زواج السمر) 1958م ولهاعمال أبداعية آخرى (نوار القطن) 1964م وعدد من الكتب التي تجمع بين الشعر والنثر مثل (التماسه عزاء بين الشعراء) 1970م

هاتي الحديثَ رعـاكِ اللهُ مسعفةً وأَسْعدي فكلانا ذو هوًى باد
فحرّكتْ لهـوى الأوطــانِ أفئدةً وأحرقتْ نِضوَ أحشاءٍ وأكبـاد

ويقول محمد احمد المحجوب[397]:

اللهُ أكبرُ هذا الحسنُ أعرِفُهُ ريّانَ يضحكُ أعطافاً وأجفانا
أثار فِيَّ شُجوناً، كنتُ أكتمُها عَفّاً وأذكرُ وادي النيل هَيْمانا
فللعيونِ جمالٌ سِحرُهُ قدَرٌ وللقدودِ إباءٌ يفضحُ البانا
فتلك دَعْدٌ، سوادُ الشَعْرِ كلَّلها أختي: لقيتُكِ بَعْدَ الهجرِ أزْمانا

عندما تصبح للاوطان عيون يلون مفاصلها الشاعر محمد مفتاح الفيتوري[398] بروح النضال وعنفوان الثورة وهى تدوس على جلادها ، وهى لوحة متكاملة تحكى قصة نضال ، وفدا للاوطان عيون طفلة تضاحك المستقبل وقد تشريت عيونها بالدموع ، تغازل فى الخيال احلامها :

فداً لعينيك الدمــاء
التي خطّت على الأرض
ســطور النضــال
داست على جلاّدها
وهي في سجونه
واستشهدت بجلال
فداً لعيني طفـلة
غـازلت دمـوعها
حـديقةً في الخيـال
كان اسمها أمدرمان
كان اسمها الثورة
كان العرس عرس الشمال
كان جنوبيّاً هواها

406-محمد احمد المحجوب :مؤالف وشاعر سوداني كان له صالون ادبي في منزله يشدو فيه الفنان حسن عطية وهو ايضا مهندس ومحامي وقاضي ورجل سياسي بارز ، ولد بمدينة الدويم 1908م وتوفى 1979م ، له دواوين منها (قلب وتجارب) بيروت -1964م ،وديوان (الفردوس المفقود) بيروت – 1969م ، (مسبحتي ودني) القاهرة – 1972م

407- محمد مفتاح الفيتوري : من رواد الشعر الحر الحديث ولد عام 1936م بالسودان ونشأ بالاسكندرية ، من مؤالفاته : (اغاني افريقيا)شعر –ط2 -1955م ،(عاشق افريقيا) شعر 1964م ، (سولارا) مسرحية شعرية 1970م ومن دواوينه ايضا (عصفور الدم) 1983 م ، (عريانا يرقص في الشمس) 2005م.

وكانت ساعة النصر

اكتمـال الهـلال

فـداً لك العمـر

ولو لا الأســى

لقلت تفـديك

الليـالي الطـوال

فـداً لك العمـر

الشاعر صلاح احمد إبراهيم[399] يسترسل مع العيون حتى يجعل منها محور تدور حولها معظم اجزاء القصيدة ، ثم يتمادى فى الانفعال الرقيق مع العيون ، ثم يبث اشواقه واعجابه وهو يصف فى براعة الشعراء سطوة تلك العين ، التى جعلت من المكان غير المكان، ثم تحول الى عازف (كمان) يؤلف اغنية (وسمفونية) حب سطرتها العيون التى فى تلك اللحظات اصبحت الآمر الناهى ، وتستفسز الشاعر تلك العيون حتى يصل الى مرحلة يقف الخيال عاجزا من وصف تلك العيون :

ورفعت رأسي من جحور كآبتي

وأدرت عيني في المكان

وكنت أنت قبالتي

عيناك نحوي تنظران

عيناك ... وأخضر المكان

وتسمرت عيناي في عينيك

ما عاد المكان أو الزمان

عيناك بسْ

ومسكت قوس كمانتي

عيناك إذ تتألقان

عيناك من عسل المفاتن جرتان

عيناك من سور المحاسن

0408-صلاح احمد ابراهيم :شاعر واديب وناقد وسياسي سوداني ، ولد عام 1933م بمدينة ام درمان وتوفى عام 1993م ، اصدر مجموعته الشعرية الاولى (غابة الابنوس) في 1959م كما له كتابات ادبية وسياسية وقصص نشرت في معظم الصحف والمجلات السودانية والعربية ،اصدر مجموعته الشعرية الثانية (غضب الهباباي) عام 1965م ، كما وله بالعامية السودانية ديوان بعنوان (محاكمة الشاعر للسلطان الجائر) صدرت في عام 1985م

آيتان

عيناك مثل صبيتين

عيناك أروع ماستين

هذا قليل

عيناك أصدق كلمتين

عيناك أسعد لحظتين

هذا أقل

عيناك أنضر روضتين

عيناك أجمل واحتين

ما قلت شي

وهناك أغرق نفسه

عجز الخيال

عيناك فوق تخيلي

فوق انطلاق يراعني

فوق إنفعال براعتي

عيناك فوق تأملي

الشاعر مصطفى سند2 :

كيف ارتحالك في العشي

بلا حقائب أو لحاف

ترتاد أقبية المكاتب والرفوف السود

والصحف العجاف

زمنا يمص الضوء من عينيك

يصلب وجهك المنسىء في الدرج العتيق

أثراً كومض شرارة تعبي على خشب الحريق

كيف ارتحالك أيها المصلوب مثل شواهد الموتى

بزاوية الطريق

الشاعر محمد المهدي المجذوب[400]ولاتغيب العين فى اشعار محمد المهدى المجذوب ، وهو يصف حلقة الذكر (والنوبة) تحرك من حولها ، حتى يغيب الجمع فى حالة سكر ونشوة وشيخ الحلقة يغمض عينيه كأنه يستسلم لحلم كون كبير ، :

وتدانت أنفس القوم عناقاً واصطفافاً

وتساقوا نشوة طابت مذاقاً

ومشى في حلقة الذكر فتور

لحظة يذهل فيها الجسم والروح تنير

وعيون الشيخ أُغمضن على كون به حلم كبير

الشاعرة روضة الحاج[401]تنثر عبير الوصف وهى ترسم لوحة من الاشواق ، والعين المغرمة تستقبل طيف المحبوب فكيف يكون حالها فى شاطىء الاشواق اذا جاء هذا الطيف:

وملء العين طيفك أو أتاني غدوت بساحل الأشواق غرقى

وملء السمع صوتك لو غشاني نسيت أجش صوت أو ارقأ

وملء القلب أنت فويح عمري ترى بعد ارتحالك كيف ابقي

وقبلك ما عرفت الدمع شوقاً وها أنذي بدمع الشوق اسقي

أحسك بين نبض القلب نبضا يضئ بمهجتي ومضاً وبرقا

409-محمد المهدي المجذوب : شاعر سوداني ولد عام 1919م وتوفى عام 1982م من دواوينه : (نار المجاذيب) 1969م ، وديوان (اصوات ودخان) وديوان (منابر) 1982م كما له مقدمات لي دواوين شعر منها ديوان (الحان واشجان) للشاعر محمحد محمد على ، ديوان (الليل الابيض) للشلعر امام على الشيخ

410- روضة الحاج : شاعرة سودانية من مواليد شرق السودان كسلا ، تعمل مذيعة في الاذاعة السودانية وفي قناة الشروق الفضائية السودانية لها عدة وداوين : منها (للحلم جناح واحد) وديوان (عش للقصيد)، وديوان (الساحل يعترف القلب) ، وديوان (مدن المنافي) .

أحسك في دمى سحرا وعطرا يناغم جاهداً فيما تبقى

والمح أدارى عينيك نفسي أحدق فيهما صاح فارقي

إلى أفق من الأشجان رحب فاشفي ثم اشقي ثم اشقي

أحقاً يا ربيع العمر يوماً ستجمعنا دروب العمر حقا

الفصل الرابع عشر

العيون في الشعر الشعبي السوداني

إن شعر الشعبى السوداني تمعن في العيون وغنى في محراب جمالها وجلالها، بل لا أبالغ إن قلت أن الشعر الشعبى السوداني نحت على مر العصور قصائد رائعة لا تجد لها مثيل عن وفي العيون ...بكلما تحمل كلمة... الروعة من معنى ...وما يزال في جعبته الكثير... ...والقصائد القديمة المتجددة المعتقة، ظلت ندية وارفة الظلال ولا عجب في ذلك فنحن ...لم نشبع أبداً من... شعر

الحقيبة مهما نهلنا منه فيظل معطاءاً عذباً ...بل تظل قصائد الحقيبة ...كالذهب الخالص لا تزيده الأيام ...إلا خلوصاً ....وتوهجاً ...وحلاوة ....وجمالاً

فإذا تمعنت مثلا قصيدة... شاعرنا المبدع إسماعيل حسن، امسكي عليك عيونك ديل، تجدها تتحدث ببساطة عميقة...عن فترة زمنية... كانت النظرة لها كيانها المقدس، ومعناها البليغ... المحفوف بالحياء فليست هناك إباحية في النظر... وإنما هناك اندهاش مع موجة عارمة من الأشواق المبثوثة عبر المعاني الرائعة تترجمها العيون، انه لاستجدى معاودة النظر بسفور، ولكن يمتعنا عبر خياله الجميل ...المهذب الخصب .... تمعن إلى اللوحة التي رسمها للعيون... كأن الدنيا حوله ظلام دامس ثم تلك العيون المبهرة كالنوافذ المضيئة التي تطل على تلك الليلة الحالكة فما ابلغها من صورة .... وتلك العيون ترسل الحب المدثر بالخجل... فلا يجد من شباكها فكاكا أو مهربا ...فقد وقع تحت سيطرة تأثيرها الممتع المعذب بحلاوته ... كأنه أمام هيبة مغنطيس جامح... من الحب ...المتمكن من وجدانه يتاوقن ليه زى شباك منور في ضلام الليل...

ويستنطق إسماعيل حسن[402] العيون، ويجعل منها لسان ينادى به أشواقه المستترة ...وهو كالغريق الذي يقف مذهولاً متخبطاً..بجمالها ...وخائفاً من سطوتها وبين هذه وتلك يدارى العشق الذي كان في تلك الفترة لا يفصح عنه أمام الملاء... وإنما ينطق به عبراً

تلميح لطيف حبيب

يكوركن ليه

نص الليل

يشابن ليه

أنا الغرفان

إنا الضهبان

وزى القشه

ارجف

في مهاوي السيل ..

411- اسماعيل حسن : من شعراء الحقيبة ولد بالقلعة بالمنطقة الشمالية عام 1930م ، وتوفى في الخرطوم عام 1982م ، له ثلاثة دواوين (ليالي الرنق) شركة اعلانات الخرطوم 1973م- وديوان (خواطر انسان) الفاهرة –دت ،وديوان (حد الزين) الخرطوم 1975 م كما له دواوين من الاغاني العامية فهو شاعر وجداني النزعة

عليك ذاتك

تمسكي عليك

عيونك ديل

وتجد العين عند شاعرنا خليل فرح[403] مكانها وهو يبكى ويسترجع مناقب الامام المهدى ويخاطب بين الفخر والبكاء عينه وهو يمجد تاريخ المهدى واخلاقه :

الضريح الفاح طيبه عابق السلام يا المهدي الإمام
أين مني الودعته شاهق باكي ناهدي مراهق
عيني ما بتشوف إلا شاهق أين وجه البدر التمام
أين مني ألفي زهوه باسق في شبابه نقي من مفاسق
بين ثيابه البيض المناسق حولك أشبه رتل الحمام
يا بريد الجو فوقي حالق ميل على الروح ليها خالق

الشاعر القامة عبيد عبد الرحمن (يرحمه الله):

...يتغنى مع العيون ... وهو يقص غرامه المحفوف بالحياء المترف بالحب الغنى بالوصف

الراقي وهو يحكى تفاصيل نظرته الاستثنائية ...التي يحفها بالشجن المعطر بالأدب والأخلاق ....وهو ينفى من نظرته المجردة ..التوغل في الاشتهاء الفاضح بل يعبر أن عيونه يكفيها هذا التأمل الحميم القريب من شغاف قلبه العاشق ....ويشير بكل تودد انه لم يأتي..... لقطف الزهور وهى صحوة تتماشى مع أخلاقنا الرفيعة، وهنا إشارات لطيفة عفيفة تتضمن مع رشاقتها ذكاء الشاعر بان الزهرة تظل محل إعجاب وهى في مكانها المصون تمتع الناظرين ...فالقطف يسلبها روعتها ...وزهو معناها ...وبهاء لونها... وبشاشة منظرها.... بل أكمل وصف محبوبته بالبدر الذي يتعشقه كل شاعر أصيل من بعيد فليس من الضروري أن كلما يعشقه يجب أن تمتد له يده..فالبدر منذ ألاف السنين وهو يمتع العيون بجمال منظره رغم المسافات البعيدة التي تفصله من الأرض...ويرى الشاعر أن تفننه في وصف ذلك الجمال المتناهي في الروعة يمتع روحه ...ويسحر خياله.... فيستثير مكامن الأشواق والإعجاب ... فاكتفى شاعرنا رغم دنفه وحبه.... بأن

412- خليل فرح : اتسم شعره بصفة عامة بحب الطبيعة والوطن وهو احد الجد دين في شعر الغناء السوداني ، ولد في قرية دبروسة بمنطقة حلفا عام 1894م وتوفى في الخرطوم عام 1932م . صاغ شعرا رائعا بالفصحى والدارجية ، وهو اول فنان سوداني يلحن الشعر العربي الفصيح ويغنية ، من اجمل قصائده عازه في هواك ، اصدر له ديوان بعنوان (خليل فرح) حققه على المك ونشرته دار جامعة الخرطوم عام 1977م

يجعل من النظر رسول يوحى إليه بكل شمائل المحبوبة المعنوية والمادية فان ذلك...يغنيه تماماً... بل ويرضيه .....فأمعن في الوصف الرقيق ....والراقي.

الشاعر عبيد عبد الرحمن[404]:

أنا ما بقطف زهورك

أنا ما بقطف زهورك بعاين بي عيوني

يالغصن ألفي نهورك بعاين

يا البدر إلفي خدودك بعاين

مترقب ظهورك بعاين

أتأمل في محاسنك و أتمتع بي مناظرك و أتوسع بي فنوني

لعبت بي دورك بعاين

و أصبحت مسحورك بعاين

سبحت في بحورك بعاين

عرفت أوزانك و عزفت ألحانك آهات و أنين

لا زلت مأسورك بعاين

ما قادر أزورك بعاين

ملأ العيون نورك بعاين

كشف الظلام بسمك و تجلا لي رسمك شخصك ملأ عيوني

أضناني تأثيرك بعاين

وما بشكي لي غيرك بعاين

أعياني تفسيرك بعاين

يا الرمز الحيرني و هواك صيرني أتحدى الخزلوني

يا العالي موهوبك

يا الراقي أسلوبك

الناسي أنسوبك بعاين

يا العالي تعليمك آنا من مظاليمك إيه ذنبي وريني

إيه ذنبي يا حبيبي

---

[404] ـ عبيد عبد الرحمن : شاعر ومبدع سوداني ولد بحي العرب بام درمان عام 1908م وتوفى 1986م، صدر له ديوان شعر بالاشتراك مع صديقه الشاعر سيد عبدالعزيز بعنوان (ليالي زمان) كما صدر له ديوان (زمن الصبا) كما له ديوان من جزئين عن دار البلد للطباعة والنشر والتوزيع بعنوان (رسائل) والثاني بعنوان (غزال البر)

أنا ما بقطف زهورك بعاين بعاينبي عيوني

الخاتمة

إذا تأملنا بعين البصر والبصيرة، إلى هذه الجوهرة الجميلة، والمنحة الجليلة والنعمة الكبيرة، والتي بفضل من الله وحكمته ،نرى بنورها ما حولنا، ونتفاعل مع هذا الكون الرائع البديع، الدال بدون شك على عظمة الصانع، الذي ركب في الإنسان هذه النعمة حتى يرى سعة ملكه، وروعة بنيانه، بفضل هذه العيون نرى هذا التفرد المتقن، والإتقان المتوازن لنتعلم كيف نستلهم عبر هذه العين معنى الحياة..

حق للشعراء والأدباء، أن تكون العيون موضع دهشة وتأثير، في أعماقهم ...ثم يقود الإعجاب أفكارهم ...ووجدانهم... عبر أقلامهم نحو إبداع هي محوره.

الانسان ذلك المخلوق المتناسق التكوين ،الذي ماكان له بدون هذه المنحة الالهية أن يطول بالعقل وحده هذا المصاف الراقي ويصنع هذا الجمال، ويبني المعجزات ويخلق بارادته العجائب، ويبلغ تلك السوامق من حضارات خالدة عبر التاريخ ثم يصل بواسطة العيون إلى هذه الابتكارات العلمية الدقيقة ،

نعم العين الانسانية الجبارة التي منحت هذا المخلوق تلك الخصوصية ،ولم تظل معه فقط مجرد الة للنظر البحت ،ولكن عبرها منحته هبة التذوق للجمال واكتشاف كوامن الاحساس بالدهشة

خلال النظر فكانت العين مصدر اسعاد للبشر بكل ما تحمل كلمة السعادة من معنى وهي تطوف ما حولها تاخذها الدهشة والانبهار

ونحن لانعرف معنى الاعجاب بدون النظر ، ونحن لا نفهم قيمة الدهشة التى تولد الابداع إلا حين يستفز عيوننا ما يخلق هذه الدهشة ويجعلنا ننتبه لما يدور حولنا من مخلوقات واحداث

يمنح النظر الشعراء شحنات من الخيال ويترك العنان للعقل بعد ذلك ليترجم ما شاهدته العيون وهنا لا يسقط دور العاطفة بل تمتزج مع الفكرة وتخرج لنا تلك الصور الغنية بالابداع الشعري

فكما يشبع الطعام شهوة الجوع فكان البصر هو مايشبع شهوة العين وهى مصدر للتفكر والتأمل ومن ثم الاستنتاج المنطقي الذي يتوائم مع الفكر السليم.

{فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ مِمّ خُلِقَ } (الطارق:5).

{أَفَلَمْ يَنظُرُوَاْ إِلَى السّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيّنّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ } (ق

ورغم أن النعم الغالية من الله العظيم تحيط بنا من كل جانب وأن فضله لايحصى وخيره لايعد فنجد لسان حالنا ضئيلا امام التفكر في هذه المنحة الباهرة الساحرة التي لا نتمكن من الاحاطة بروعة صنعها ودقة تركيبها وقوة تأثيرها ولانملك بين التفكر والتأمل إلا أن نقول اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك حمدا لا ينبغى إلا لك وحدك.

المراجع

***المصحف الشريف**

1- معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008م، 2/ 1513.

2- ـ لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت: 711هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، 13: 303.
3- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، 35/ 449.
4- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت،الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987م
5- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م،
6- مصارع العشاق: جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري البغدادي، أبو محمد (ت: 500هـ)،دار صادر، بيروت، 2/ 69
7-- أنوار البروق في أنواء الفروق: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت: 684هـ)،عالم الكتب الطبعة: د.ط، د.ت، 2/ 61.
8 - الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد بن القاسم الأنباري (ت: 328هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت،الطبعة: الأولى، 1412 هـ -1992م، 141/2
9- جمهرة الأمثال: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت: نحو 395هـ)، دار الفكر – بيروت، 1/ 224
10- رسالة الغفران: أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان، أبو العلاء المعري، التنوخي (المتوفى: 449هـ)، مطبعة (أمين هندية) بالموسكي (شارع المهدي بالأزبكية) – مصر، صححها ووقف على طبعها: إبراهيم اليازجي، الطبعة: الأولى، 1325 هـ - 1907م، 99.
11- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ)،تحقيق إحسان عباس، دار صادر- بيروت - لبنان ص. ب 10، الطبعة الأولى 1968م،255/1،
12- زهرة المجالس ومنتخب النفائس: عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري (ت: 894هـ) ، الكاستلية – مصر، 1283هـ،94.
13- الآداب الشرعية والمنح المرعية: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (ت: 763هـ)، عالم الكتب، 2/ 200.
14- ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م، 2/ 454.
15- الموسوعة القرآنية، خصائص السور: جعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التو يجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1420 هـ، 6/ 152.
16- عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد: أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح، الدِّيْنَوَرِيُّ، المعروف بـ «ابن السُّنِّي» (ت: 364هـ)،تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن - جدة / بيروت، 171.

17- ـ العقد الفريد: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن عبد ربه الأندلسي (ت: 328هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1404 هـ، 1/ 269.
18 - عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، دار الكتب العلمية –بيروت، 1418 هـ، 4/ 59.
19- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري الزجاج (ت: 311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988م، 4/ 304، و
تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م، 7/ 14
19- العدة في أصول الفقه: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين ابن الفراء (ت : 458هـ)، حققه وعلق عليه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، د.ن، الطبعة: الثانية 1410 هـ - 1990م، 1/ 131
20- مجاني الأدب في حدائق العرب: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (ت: 1346هـ)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1913 م، 6/ 213.
21-- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام:جمعه ورتبه ووقف على طبعه: بشير يموت، الأهلية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1352 هـ - 1934 م، 39.
22- الأمالي: أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون (ت: 356هـ)، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، 1344 هـ - 1926م، 1/ 131
23- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت: 845هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ، 4/ 438.
24- ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: جار الله الزمخشري توفي 583 هـ، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ، 2/ 462.
25- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: 749هـ)، المجمع الثقافي، أبو ظبي ،الطبعة: الأولى، 1423 هـ، 27/ 565.
26- الإعجاز والإيجاز: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ) مكتبة القرآن – القاهرة، 83.
27[1] -جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ)، اشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت، 2/ 487.
28- في محاسن أهل الجزيرة:أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت: 542هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، الطبعة: 1، 1981م، 1/ 383.
29- المطرب من أشعار أهل المغرب: أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي الشهير بابن دحية الكلبي (المتوفى: 633هـ)، بتحقيق: الأستاذ إبراهيم الأبياري، الدكتور حامد عبد المجيد، الدكتور أحمد أحمد بدوي، راجعه: الدكتور طه حسين، دار العلم للجميع للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1374 هـ - 1955 م، 6.
30- كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس: أبو عبد الله محمد بن الحسن الكتاني الطبيب (ت: نحو 420هـ)، : إحسان عباس، الطبعة: 2، 1981 م، دار الشروق، بيروت – القاهرة، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، 121
31- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) دار المعرفة - بيروت ، 41/ 3

32- - التعرف لمذهب أهل التصوف،: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت: 380هـ)،دار الكتب العلمية - بيروت، 113.
33- روضة العقلاء، 28، و طبقات الأولياءابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ)، بتحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، مكتبة الخانجي، بالقاهرة،الطبعة: الثانية، 1415 هـ - 1994م، 135.
34- المدهش: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق: الدكتور مروان قباني، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، 1405هـ - 1985م، 145.
35- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر، 2/ 502.
36- من نهج البردة. محمد صبري، الشوقيات المجهولة (بيروت 1979) 1 135- 139؛ ؛ محمد المهايني، بردة المديح المباركة، ص 41- 48.
36- ـ كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 1/ 348
37- نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد شهاب الدين النويري (ت: 733هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة الطبعة: الأولى، 1423 هـ، 2/ 133، و ذم الهوى: جمال الدين أبو الفرج الجوزي (ت: 597هـ)،تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة: محمد الغزالي، 97.
38 - مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م، 35.
39- النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير (ت: 606هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، 1/ 131، واللسان ، 241/3.
40- معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م
41- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب - القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2004 م، 221 معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب - القاهرة / مصر، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2004 م، 221
42- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت : 1188هـ)، مؤسسة قرطبة – مصر، الطبعة : الثانية ، 1414 هـ / 1993م، 1/ 101.
43- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية. والبيان في مداخل الشيطان: عبد الحميد، قدم له: محمد أحمد الراشد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: السادسة، 1406 هـ - 1986 م، 154.
44- روضة المحبين ونزهة المشتاقين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،الطبعة: 1403هـ/1983 م، .

45 - الإحاطة في أخبار غرناطة: محمد بن عبد الله بن سعيد السليماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت: 776هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 هـ،1/ 118.
46- ذم الهوى: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مراجعة: محمد الغزالي، 85.
47- رسائل ابن حزم الأندلسي: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: 456هـ)، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1/807900. برقياً - موكيالي - بيروت - ص.ب: 546/11 بيروت،:الطبعة: 1، 1980م، ، 1/ 137.

فهرس الموضوعات

م	الموضوعات	رقم الصفحة
1	الاهداء	2
2	المقدمة	3

3	الفصل الاول: العيون فى اللغة العربية	5
4	الفصل الثانى: العيون فى القران الكريم.	21
5	الفصل الثالث: 1/علاقة العين بالقلب. 2/العين نافذة للحياة والخيال.	32
6	الفصل الرابع: العيون عالم الاسرار. 1/العين والفراسة. 2 /العين ومدلولاتها بين اللون والانفعال. 3/ العين والحسد (العائن). 4/العين والتنويم الايحائى.	45
7	الفصل الخامس:لماذا العيون وحى ابداع الشعراء.	68
8	الفصل السادس:العيون فى شعرالعصر الجاهلى.	71
9	الفصل االسابع: العيون فى شعر العصر الاموى.	80
10	الفصل الثامن:العيون فى شعر العصر العباسى.	87
11	الفصل التاسع:العيون فى الشعر الاندلسى.	101
12	الفصل العاشر:العيون فى شعر العصر الفاطمى. العيون فى شعر العصر الايوبى والمملوكى .	115
	القصل الحادى عشر:العيون فى شعر الزهد والتصوف.	126
13	الفصل الثانى عشر:العيون فى شعر العصرالعربى الحديث.	138
14	الفصل الثالث عشر:العيون فى الشعر السودانى الحديث.	152
15	الفصل الرابع عشر:العيون فى الشعر الشعبى السودانى.	162
16	الخاتمة	167
17	فهرس الموضوعات	170